

أبرقادي

الاسلام الحي

تجليد
صالح النقر
بيروت - المزوعة

297

H 10

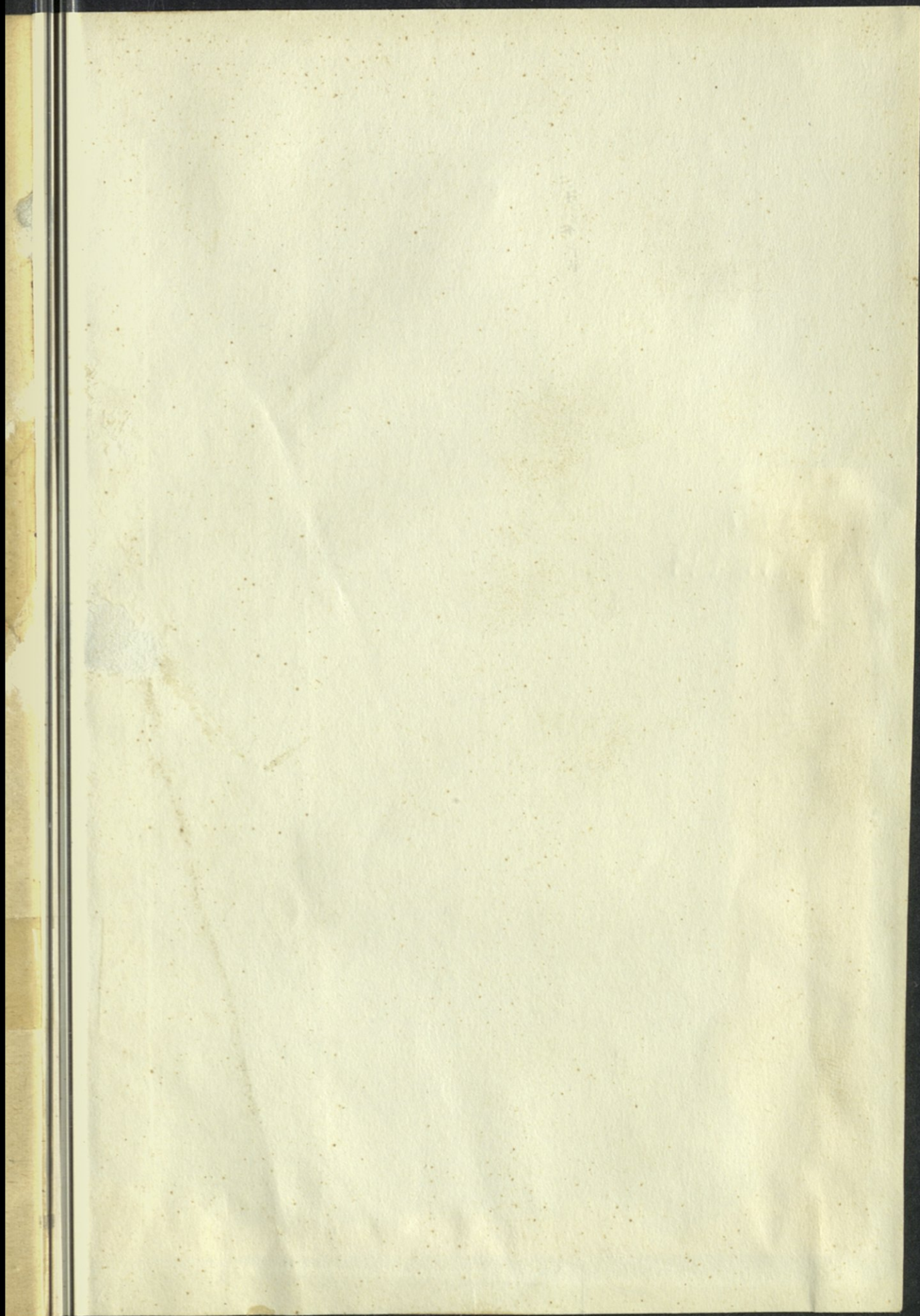
MY 11

MA 1

280

4

1



297
A5241LA
C.1

الدكتور احمد زكي ابو شادي

الاسلام والحی

قدم له ونشره

رضوان ابراهيم

رابطة الأدب الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

القاهرة — مايو ١٩٥٥

مطبعة المعهد القبطي الخيري بالظاهر

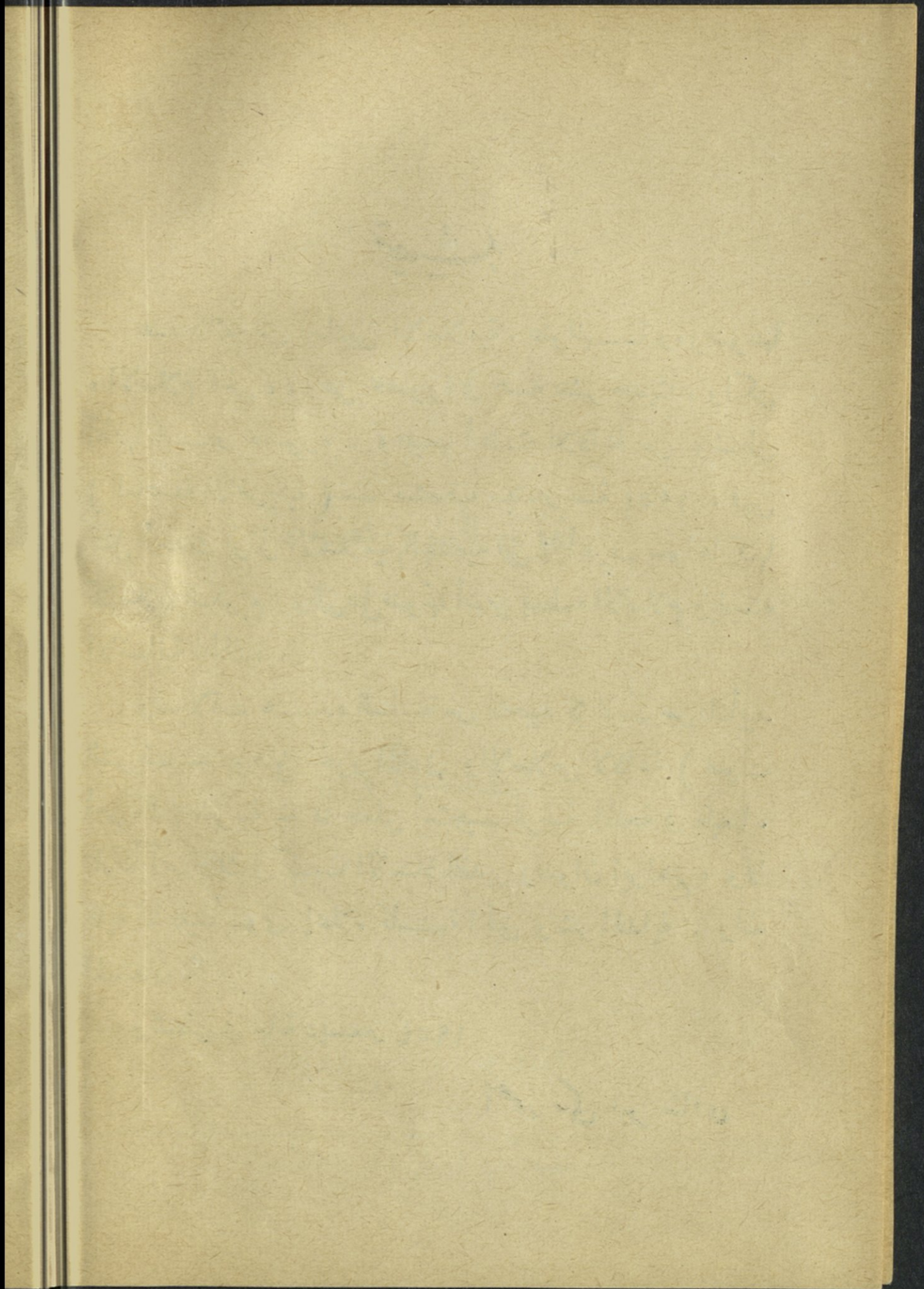
تحييد

هذه طائفة من أحاديث الاسلاميه ، عنوانها وموضوعها
الاسلام الحى ، ، وهى محصورة فى خمسة عشر حديثاً ، وليكن
آفاقها غير محصورة . وجميعها أعدته للاذاعة من واشنطن
(العاصمة الامريكىة) منذ منتصف سبتمبر سنة ١٩٥٤ ، فهى
تمثل أحدث آرائى الاسلاميه التقدمية التى لا أعرف سواها كنها
للالسلام الكريم ، والتى على ضوءها أشعر بعظمة الاسلام وبقيمته
الانسانية الخالدة .

وقد لاقت هذه السلسلة من التحييد كما لقيت من التأييد
الشريف - بوصفى المحرر الأدبى والاسلامى لاذاعة (صوت
أمريكا) العربية - ما جعلنى أستجيب للرغبة الملحة فى طبعتها ،
تاركاً أمر ذلك فى كنف الأستاذ القدير رضوان ابراهيم ، ولا
غاية لنا جميعاً سوى إعلاء كلمة الحق ونشر الهداية . والله
المستعان ؟

وشنطن فى نهاية ديسمبر ١٩٥٤

أحمد نكى ابو شادى



مقدمة

الاسلام دين الانسانية

أحقاً أن عهد الأديان قد انقضى ؟

وأن الدين قد أض غلا يبهظ رقاب البشرية ويمثل في الناس
وظيفة القيصرية، يأمر وينهى، يعتسف بركب الانسانية طريقاً جائراً
لا هدف له، ويصدها عن موكب الحضارة المنطلق نحو غاية مثلى ؟
أحقاً أن الانسانية مستطبعة - بحاسة العلم ، وذكاء الفطرة -
أن تحمل أوزارها على ظهرها ، وتمضى إلى غايتها ، غير وانية ،
ولا متعثرة ، ولا مبالة الخطو ، ولا متسائلة : أين الطريق ؟ ..
وما الهدف ؟

إن هتافاً مجلجلاً يصرخ دائماً في أعماق الانسانية : أن لا !!
ففي أحضان الدين وحده استروحت الانسانية أنسام الحياة
الحررة الطليقة العاملة ، وفي ضيائه حملت مقوماتها ، ومضت ترسم
لنفسها الهدف ، وإليه تفرع كلما طافت بها مخاوف الحياة .. وما
بعد الحياة ، تتكى عليه في عثراتها ، وتتشبث به في نهضاتها .

وما كانت التجارب الأرضية كافية لتفوق البشرى إلى
هدف جدير بأدمية كرمها الخالق ، وذلك لها شوامخ القمم ،
وأعماق المنحدرات ، وظواهر الحياة وخوافيها ، لتمهد في أحضان
رحمته ، وتستريح إلى قوته لا إلى ضعفها ، وتتعلق بإرادته قبل
إرادتها .

رما استيقظت الانسانية فوجدت نفسها قبل أن تجد دينها .
ذلك حق ، ولكن من الحق كذلك أنها تخطت ، وطال
تخطها ، وأدمت أقدامها أشواك الطريق ، ونزفت جراحها على
مدارج الضلال قبل أن تمتثلها يد السماء ، فتمسح جراحها ،
وتدفعها في طريق لاجب إلى نبع النور ، وصخرة الحق .

لم تضن السماء على الانسانية - كلما أزمته كربات الأرض -
أن تضيء أمامها سبيل البقاء والسلام ، وأن تمنحها السداد الذي
يوقئها العثرات ، ويجنبها النكسة المردية ، ويؤمنها من الضلال
في رحلتها نحو المثالية المنظورة .

وما كانت تبعه السماء نحو الأرض بأقل من تبعه البشرية
المثقلة بأوزارها ، وهي تجتاز الدروب ، وتصعد في المدايح

الوعرة نحو الآفاق السامية الكريمة الجديرة بالإنسان . . . آخر
حلقات التطور الحيوي ، وأسمى ما صورته الإرادة العليا ، وأقرب
الآحياء من العقل الكامل ،

والإنسان الأخير - الذي نحياه اليوم - خلاصة لتطورات
طبيعية عديدة ، وتناج تجارب تعليمية مكثفة ، أسهمت فيها السماء
بقدر أوفر ، ونصيب أوفى .

ولو كانت القوى البشرية كافية للوصول إلى قمة التطور
بمفردها - لما كان الإله في حاجة ليعرض أصفياه ومختاربه لقمة
الأرض ، وثورة التراب .

ولولا رحمة حانية بالإنسانية لما اختار مرسله من صميمها . .
من غمار الذين يدبون على التراب ، لتمزج الرحمة بالمعجزة ،
وليكون الأفناع عميقاً راضياً ، بلا قهر ولا إكراه .

ولولا حكمة تدق وتسامي ، لنفضت السماء تعاليمها - أجملة
وتركتها تكافح العصور ، ووكلت إليها البشرية تتعثر في شباكها
فلا تنهض . . ولكنها حكمة التطور والأناة ، ولكنه حنو السماء
وجرها بالأرض .

أفتن رشدت الانسانية تلوى بالعقوق ، وتنحى بالتمرد ،
وتمشى بالتجنى ، وتذكر لماضيها الطويل ، الذي كان وشيكا أن
يضل ويتعثر ، ويتناثر - في فضاء الأزل - ضباباً معتماً ، وهباء
مبدداً - لولا الديانات الرحيمة ، عصمته وآزرتة ، ووثقت حلقاته .
أفتن شبت الإنسانية تناست طفولتها ، وتبجحت بذكائها ،
وجاهرت بأن الأديان لم تصنع ولن تصنع .. فاذا جلجل
صوت التاريخ ، تراجعت تحتفظ بخطوطها ، لتقول : إن الأديان
كانت تساند الإنسانية البائدة ، أما انسانية الانسان الحديث ،
المثقف ، العالم ، المتمدين ، الذي أشرب تجارب البشرية في رحلتها
الطويلة الحافلة - فماذا تصنع له الأديان بعد ؟ ١١٤

لمد أدت الأديان دورها في حياة الانسان البدائي ، وانتهت ..
لقد أصبحت مرتعشة اليد ، مثقلة الخطو ، وعادت صحبتها في
مضمار الحياة الجديدة - بنت الذرة والاثير - معوقاً يثقل خطو
الحضارة ، ويشدها إلى الخلف .. إلى حياة الكهوف ، وصراع

الغابات ١١

أفحق هذا ؟

أفحق أنها دعوة تقوم على ركائز من فروق ما بين الدين الحق

والوثنية المتعالمة ؟

.. أم إنها شبه غائمة ، تسربت من أشباح تتحرك على مسرح

الحياة باسم الدين ؟

وأن السطحية والشك والواقع الالحادي ، والقلق المتملبل ،
والاسترواح إلى الخطيئة ، والتحلل من فضائل الأديان — في جهة ،
والمسخ والتشويه والانحراف الذي يلي به الدين بيد محترفيه ،
والانتكاس به إلى معاسرات مفتعلة — من جهة أخرى جعل الناس
ينفرون منه ، ويخاصمون ، وينقمون عليه ، ويتهاربون من
طريقه إلى آفاق من الالحاد المبيد ؟

إن شبها كثيرة من السواد الذي ران على هذا الوجه الأبلج
قد نفر الناس عن صداقته ، وخوفهم صحبته ، وطاردهم عنه ،
لا يقبلون منه عدلاً ولا صرفاً ، ولا يشفون منه في حل ولا
حرمة ، ولا يرون فيه إلا قوة « بوليسية » رهيبة رعناء ، تحول
دون مبتغاهم ، وتقف في سبيل أمانهم ، شاهرة سلاح الرجعية
البغيض ، وعلى شفيتها دائماً كلمتان : الخطيئة ، والعذاب . وفي
يدها دائماً لفحة من جهنم ، يتلظى بها طريد السلطات
المتوشحة بوشاح الدين ، لا تميز بين الدين في جوهره ، وبين
رجالها ومحترفيه ، فلا ترفعه إلى منزلة سماوية رحيمة عالمة بطباع
البشرية وما تدفق في سرايينها من غرائز وشهوات ، ولا تنزل

بهؤلاء المحترفين إلى مرتبة بشرية يجوز عليها الخطأ والصواب .
واسئنا نتساءل عن مهمة هؤلاء ، فما نعرف لهم مهمة ليست
لسائر المتدينين ، ولكننا نتساءل : ماذا بذلوا لهذا الدين من
وسائل البقاء والانبعاث والخلود ؟
الحق أن رجال الدين لم يصنعوا بدينهم سوى أن حبسوه
في المعابد ، وباعدوا بينه وبين الحياة ، وألبسوه من تزمتهم وضيق
آفاقهم ، وحشدوا له من البدع والخرافات مواكب ، تغشى
جوهره ، فلا تبين فيه سنة ولا بدعة ، بل لقد كان تنطعهم
في الدين داعية لقوم آخرين أن يحرفوه عن مواضعه ، فتسهلوا
وتسمحوا ، وأغروا به الناس ، وشككواهم في مهمته ومسانده
للحياة .

وبين التسهل الاباحى والتزمت القاتم ، حار الدين ، وحرار
معه عامة المتدينين ، وأمسوا مخطوفى البصر ، مبالى الأفكار بين
هؤلاء وأولئك .

ولقد كانت الروحية فى الشرق رثة نازقة ، تسربت منها
سموم الخرافات — أول ما تسربت — إلى العقلية المتدينة ،
قهرتها بالزيف ، يوم بذرت فى مزرعة الدين ، ورويت بمستنقع

الجهل الآسن ، وتسلفت طفيلياتها تحجب نبتة الدين ، حتى
لا يبين القديس من المهرج ، ولا تتكشف المعجزة في
أبخرة السحر .

وكان الخنوع الذليل ، والتكشف المصطنع المتهاك ، والتواكل
المزرى ، سمات — لرجل الدين ، وشبهات عميت في ظلماتها القيم
فشبهت السنة بالبدعة ، واختلط الدرويش بالتقى ، حتى وهم الناس
أن الدين في صميمه دعوة إلى التواكل والبطالة والشعوذة
والتسول الذليل المتراعى حول الأضرحة ، المبعثر بين المقابر .

وعرف محترفو السياسة بالتجربة أن العاطفة الدينية سلسلة
تقاد بها الشعوب الشرقية ، فأمسكوا بطرفها .

ونحن لم ندس بعد ، ولن ندسى أن الدين عاش طويلا من
الدهر عنوان الخديعة والتضليل واستغلال الأمم .

لقد ظلم الدين نفسه وهو يستهدف للرجوم المتطايرة بين
المستخلفين وطلاب المغانم من الأحزاب السياسية والفرق
الإسلامية منذ ضحى التاريخ .

واتخذ الدين الكاذب مطايا سياسية ذلولا للخديعة والنفعية
في العصور التي نعيش في ظلها اليوم .

.. ان نذسى أن خليفة المسلمين الاعظم ، وقع المنشور
الانجليزى الغادر ، يدمغ « احمد عرابى » الشائر الحر بوصمة
الكفر ، والخروج على دين مزيف ، ولم يكتف الخليفة بأن
يحتمى به من سهام المجاهدين الأحرار ، فلم يقنع حتى صنع منه
درعاً للاستعمار ، يستبد فى ظلاله بدماء الشعوب .

ولن يغيب عنا أن جده الأول « محمد الفاتح » تأمر على
الاسلام فى الأندلس ، ليدسم له لقب أمير المؤمنين ، مضعياً بخمسة
ملايين من المسلمين مالت أعناقهم على مقصلة محاكم النفتيش ،
ثم جثا الاسلام ، واستسلم للواقع الذليل ، ليتلاشى عن أمنع
قلاع العالم يومئذ ! !

وباسم هذه الخلافة ارتكب السلطان سليم مخازيه فى إبادة
أبناء العباس ، وانتهاك أعراض مسلمة كريمة انحدرت من
صلب عبد المطلب بن هاشم ..

وفى ظلال الدين المجنى عليه مكن الأتراك لروسيا أن
تبيد التتار ..

وحكم الأتراك « هولاندة » الغربية فى رقاب « جاوة »
الشرقية المسلمة ..

وباع الأتراك العالم العربي الإسلامي للشركة (الانجلو
فرنسية) بيع العبيد الأذلاء ..
لن ننسى هذا ..

ولن ننسى أن الدين هو الدخان الذي أطلقه المستعمر ،
ليزحف تحت ستاره على مقدساتنا ، ويزلزل حصون قوميتنا ،
ويقتل صلابة مجتمعاتنا .

وهو السلاح الذي شهره المستعمر يوم شاء أن يبعثر وحدة
الأمة شيعاً وطوائف ، ليظفر بنا أحاداً بعد أن غص بنا جماعات ،
لولا يقظة واعية شاءت أن تدمر استحكاماته ، فترفت من
وضاعة التدين الكاذب ، لتعتصم بقيمة الوطنية المنيعه .

سيظل في وعينا أن هذا الدين سند كل طاغية وكل فاجر
وكل جبار أثيم وهو ينكل بقوة الأمة ، ويخذلها عن حقها في
الحرية الكريمة .

ولرجاله — يومئذ — مهمة غير كريمة .. أن يتنادوا بالسمع
والطاعة ، وأن يستخرجوا من جرابهم البالي نصامن النصوص
يلتوون به عن القصد ، ويقسرونه على إرادة الظالمين ، ويصوغونه
أطواقاً وسلاسل تقعد بالأمة عن الانبعاث في سبيل حريتها
وتفوقها ..

وفي المناسبات العديدة المتناقضة ، انطلقت الآية الكريمة :
«أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر» — مقسورة مقهورة
متحشجة ، من طول ما حرفت عن مواضعها ، والتوت عن سبيلها .
وامتلأت الأشداق ترعش اللحي البيضاء بكلمات : «اسمعوا
وأطيعوا ، وإن ولي عليكم عبد حبشي» ،

ونسيت ركيزة ديمقراطية صريحة متضوثة انبعثت كالآذان في
فجر الاسلام : «أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيت فلا
طاعة لي عليكم ١١» ،

وما أكثر ما صدرت الفتاوى معلنة بأصواتها الكريمة الذليلة
من وراء مقابر العبيد — تبرير الطغيان ، وتحليل الاستبداد
بأرواح الناس وأعراضهم وأموالهم .

ومن تمام المأساة أن يصبح الدين سوقاً مقلعة ، يحتكرها
أناس يقومونها بأرقام الارباح والخسائر ، ويزوونهم — اعمن
يريدون الدين خالصاً للجميع ، ودعامة لانسانية حرة واعية ،
وضياء في سبيل البشرية الهادفة .

فاذا دخل هذه الساحة الكريمة المسماحة داخل ، انطلقت
عليه قذائف السدنة تمطر كلا على قدره ، فواحد تصعقه قنبلة
الكفر ، وآخر تكفيه طلقة الاحاد ، وثالث تليق به قذيفة الشرك ،
وهكذا . . كل على قدره !!

أفذلك هو دين السماء الذي ارادته سموأ للناس أجمعين ،
واندفاعاً إلى الملائ الأعلی ، واقتراباً من الخالق الأجل ؟
كلا . . فما أراد الله تجارة يحتكرها المحترفون .
لا . وليس الدين إباحية تنطلق بها الحيوانية الجاححة عارية
من كل قيد ، ناشزة من كل فضيلة ، ولو كان الدين هذا أو ذاك
لما صلح لنا وما صلحنا عليه يوماً .
فهل تكون الانسانية الحديثة أكثر وعياً ، وأعمق من هذه
السطحية الزائفة التي تحجب الدين عن الأعين العابرة ، وتبدله من
ثيابه هلاهيل ومرفعات ؟
ما عبثاً أراد الله أن تتدين ، وما كان له هذه الانقلابات
الخطيرة في حياة البشرية أن تحدث ، وأن تراق في سبيل الأديان
دماء الملايين من المؤمنين ، يساقون إلى ظلمات السجون والقبور
زمرأ زمراً في كل عصر .
وأن تتعرض المسيحية لسكال القيصرية أياماً ، وتصطلي
نار الأخدود ليالي سوداء . .
وأن يجتاز الاسلام أفسى المحن ، وتزلزل من تحته أرض
العبيد وهو ثابت شامخ تسانده السماء .
ما كان الرب بمنضج هذه الأحداث ، ولا جاعل وقودها نفوساً

بشرية عزيزة ، لو أراد أن تتدين بالخرافة التي تمشى فينا
باسم الدين .

إذن فلا بد للإنسانية من دين . . ولكنه الدين الخالص
الحى النامى .

وإذن فلا مفر من تجديد لهذا الدين ، ولا مفر من إعادة
شبابه ، ولكن . . أين المصل ؟

لنضرب صفحاً عن المتجرين بالدين ، وعن المخدوعين
بالمادية المادية العرجاء .

ولنصحب هذه القلة الواعية العاملة المؤمنة ، التي تمسك بجوهر
الدين فى قبضة وبحقائق العلم فى الأخرى ، ثم تقرب ما بين
الجوهريين الكريمين ، لارتفاع تفاعلا إنسانياً إلهياً كريماً ، فتصهر
فى تفاعلها كثير من القيم ، وتذوب كثير من الأغشية ، وتتساقط
حفات محترقة من الزوائف ، ويخلص من بعد هذا وذلك حق
صراح لا باطل فيه .

من هؤلاء الرواد فى حاضرنا كان محمد عبده ، وحواريه
رشيد رضا ، وجاويش ، وطنطارى جوهرى ، والمراغى ،
ونظراؤهم ممن تعمقوا الدين ، وخبروا مرونته ، وجربوا قدرته
على المغامرة فى زحمة الحياة الحديثة .

ومن أعلام هذا الاتجاه الرشيد، الدكتور أحمد زكي أبو شادي الذي
تفرد بأسلوب أدق وأعمق وأوضح، هيأته له مقاييسه الدقيقة
الحقة، وتربيته العلمية المحضنة، وتجارية الحيوية العملية الواسعة.
وبروح الشاعر، وفكرة الفيلسوف، وتجربة العالم،
وريشة الفنان، ودقة الخبير. يتناول الزوايا المختلفة للإسلام،
فيقضي فيها حق الدين، وأمانة العلم، وواجب البحث الحر،
وضريبة الفكر، وزكاة الروح.

ومن أفق علمي بأوسع ما في الروح العلمي، ديني إلى مدى
لا يحده تعصب ولا تزمت، يعالج الفكرة الدينية، في ضوء
المقومات الانسانية العالية.

ولقد أتيح له أن يذيع فصوله الاسلامية هذه التي يوفق فيها
بين العلم والاسلام ثم بين الاسلام والديانات الأخرى،
ثم يوفق بين خلاصة الأديان وبين الانسانية توفيقاً جديداً،
في زمالة سعيدة تهون المصاعب، وتحقق أمانى البشرية
في الحياة.

ولقد اقتبسنا بالأمس من آرائه التي زاو لها منذ ربع قرن
كتابنا، عظمة الاسلام، فلقى الكثير من التقدير، وشيئاً غير
قليل من الامتناع.

والسلسلة التي نقدمها اليوم تحمل طابعاً جديداً في فكرتها
وطريقة عرضها وإن دارت حول موضوعات الاسلام الخالدة .
وهي استجابة واعية لما يضطرب به عقل إنسان هذه الآونة
المرتعشة في الشرق والغرب .

وليست هذه الأحاديث في سبيل الدين بقدر ما هي في سبيل
الانسانية .

ولسنا في حاجة أن نتحدث فيها حديثاً موضوعياً ، وإنما
نؤثر أن ندعها تقدم نفسها لقراءتها ، تتحدث إليهم حديثها
الواضح الميسور الهادف .

ولا نرجو للقارئ أن يستريح إلى ما في هذا الكتاب من
فكرات ثائرة ، فما في حسابان أبي شادي أن يريح قراءه ،
ولكن أن يثيرهم ، ويحرضهم وأن يدفعهم إلى الطريق ظالمين
يبحثون عن منابع النور ، ولا عليه إن لم يظفر باعجابهم ، وسرعة
استجابتهم ، وانبهارهم العاطفي .

ولا يتساءل - من بعد - أسجبه القارئ في دربه الواضح
أم انحرف . . كل ما يعنيه أن يأخذ القارئ عن يئنه أو يترك
عن يئنه !!

رضوانه ابراهيم

أركان الاسلام

تعريف أركان الاسلام يختلف في نظر بعض الناس بالنسبة للشكليات أو للباب الخالص من الدين .

والحقيقة أنه لا يوجد ثمة أى اختلاف ، لأن الشكليات لا يمكن أن تعد أركاناً لأى دين .

والمسلمون يعتقدون أن دينهم ليس بدين جديد ، وإنما هو امتداد لدين التوحيد الذى بشر به العهدان القديم والجديد .

ألم يجرى فى (التوراة) المقدسة . « أنا الله وليس سواى . أنا الله ليس مثلى . . . أنا الله ليس سواى يقول الرب » ؟

ألم يقل (الانجيل) أن ليس إلا إله واحد ؟ (فالقرآن) يؤكد كل هذا وعلى الأخص فى سورة الاخلاص .

والاسلام يعتبر من أركانه الإيمان بقدره الإنسان على التسامى ، ولا يعده خاطئاً أثيماً ، فى حاجة إلى أن يقدر .

فالإنسان الخاطيء الأثيم فى نظر الاسلام هو الإنسان الأول

المتوحش المعتدى، كما تصنع وحوش الغابة، ويعتبر أنه على وفاق تام مع الكتب المقدسة السابقة في هذا الاعتبار، وأن تقدم الانسان مطرد حسب السنن الالهية، وأن خير أداة للتقدم هي العلم، ولذلك نوه (القرآن) الكريم أعظم تنويه بالقلم وبالعلم والبحث.

وقد ورث الاسلام أقاصيص دينية شتى، فاحتفظ بشكليتها وأسبغ عليها في الوقت ذاته معاني فلسفية نيرة. مثال ذلك تضحية الدم، فقد اعتبرها رمزاً لتضحية الشهوات وتطهير القلوب، واعتبر من نتائجها البر بالفقراء في موسم الحج.

ويتفق المسلمون الأبرار مع سواهم من الموحدين الأبرار في «أن الديانة الحقيقية ليست أمراً خارجياً فقط، بل هي داخلية أيضاً»، وفي «أنما لا نستفيد شيئاً من صلواتنا وأصوامنا الخارجية وما أشبه بدون القداسة الداخلية»، «وأن الذبيحة التي يحبها الله هي القلب المنكسر أي النفس التائبة المتضعة».

وليس معنى ما تقدم أن الانسانية قد ابتعدت عن الخطيئة والإثم، فثمة الملايين من البشر وجملة من الشعوب ما تزال غارقة في غمارها، ولا منقذ لها غير الثقيف والتدين، وترقية الاخلاق، وحب الانسان لأخيه الانسان حبه لنفسه.

ومع ذلك فقد ترققت الانسانية إلى درجة عظيمة بالنسبة لما كانت عليه منذ آلاف السنين، بله آلاف العقود منها .
وإشارة (القرآن) الكريم إلى الانسان في قوله : « قتل الانسان ما أكفره ، وفي قوله : « ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة » — هذه الاشارة منصبة على عمود الطغيان ، ومقصود بها الحث على التطهير حثاً عنيفاً إلى أبعد الغايات ، وليس الغرض منها بداهة الحكم على البشرية بالنجاسة الابدية وبالخطيئة المستمرة ، (فالقرآن) الكريم والاحاديث النبوية الشريفة تشعر بعكس ذلك تماماً ، وتفسح أمام البشرية الأمل في بلوغ الكمال .

والاسلام دين عقل وجداني ، وليس عقيدة خرافية دستورها الاساطير والاهام ، والعلم سلاح الدين في عرف الاسلام ، وهو سراج ودستوره أيضاً . قال تعالى في كتابه العزيز : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ، والاسلام الذي يقول نبيه الكريم : « اطلبوا العلم ولو في الصين » لا يقرب بمبادئه غير العلم ، ورسوله الذي يعتبر مداد العالم أقدس من دم الشهيد ، قد أثبت بأقوى لغة أن العلم من أركان الاسلام الأساسية ، ولذلك لم يبالغ من يقول إن كل نظرية أو تفسير لا يتماشى مع العلم يجب أن يعتبر

غريباً ، عنه وينبغي أن ينبذ نبذاً .
والاسلام الحى النير ، يعتبر الانسان مسيراً بالنسبة للعالم
ونظامه ، مخيراً بالنسبة لسلوكه الشخصى على ضوء العلم الذى يحثه
الله عليه ، وترشده الطبيعة إليه . والانسان فى نظر الاسلام هو
وحده القادر على خلاص نفسه من الشر وعواقبه ، فعليه أن
يربى نفسه بنفسه ، متشرباً بالإيثار ، ومضحياً بالسفاسف ، أما
التضحية بالدم فليست عند المسلمين غير مجرد رمز تقليدى
موروث عن اليهودية والمسيحية كما ذكرنا قبلاً ، ولا يعدو مغزاها
التضحية بالاهواء وتطهير القلوب ، ويعتبر الاسلام أن الانسان
نبيل المعدن ، وأنه أرقى ما أبدعته الطبيعة ، ولا يتلف معدنه كـ
القرون ، إذا ما أسعفه العلم والتهديب ، وأنه فى غير حاجة إلى
مخلص خارجى ، وأن الانسان سليل الطبيعة وابن الله ، وقد تعالى
الله عن أن يكون نظام عالمه فوضى من الخرافات ، أو قائماً على
الذبيحة والدم ، ووضع الانسان إلى الأبد موضع الخطيء الأثيم .
والاسلام يجعل الله سبحانه وتعالى عن أن يكون ذاك مستبدة
تلهو كما يلهو نبيرون بتعذيب الناس وحرق رومة ا
وللشاعر ، أو للرسام ، أو للفنان إجمالاً أن يصور سفك الدم
ضرورة لنيل المغفرة ، ولكن الاسلام — الدين العقلى الأعظم

— يعد هذا هراء ، ويتفق مع المسيحية الاصلية في أن « دم الحيوان لا يكفر عن خطية انسان ، وأن كل الضحايا التي أمر الله بها ليست إلا رمزاً للضحية الحقيقية ، ، وهي شهوة الانسان المتدلية ، وأن خلاص البشرية من الشقاء ، إنما يكون بالايان العملي الصحيح ، فالدين المعاملة ، وخير المعاملة ما استند إلى المحبة ، والثقة ، والمعاونة المتبادلة .

والاسلام يؤمن بصلاحيه البشرية للتقدم المتواصل وبنبالة معدنها ، ويحرص كل الحرص على كرامتها ، ويعتبر منافياً للحق ما ينسب إلى الأديان السماوية الأخرى مخالفاً لذلك ، ويعده دخيلاً عليها لأنه يناهى المنطق والعلم من جميع النواحي ، ويعتبر أن ما يخلص الانسان هي حسناته وحدها .

وهذا مبدأ يتفق مع العقل ، والعلم ، والسيكولوجيا ، والستيولوجيا ، وكل ما ينهض بالانسانية ويرقى الوجود باستمرار من عوامل فعالة .

ومن أركان الاسلام الهامة التمسك بالمساواة وتكافؤ الفرص للبشر جميعاً ، فكلمهم أبناء الله ، ولا حجاب بينهم وبينه ، وأمهم هذه الطبيعة التي يرحون في كنفها ويغضبون منها ، ويشتدون في غضبهم إذا ما ارتدت عليهم ، وعاقبتهم نوااميسها .

ثورتهم الضالة عليها .
إذن لا كهنوت، ولا قسيسية في الاسلام، كما لا شرك ولا
خرافات ولا بهلوانيات باسم الدين فيه .
وتكافؤ الفرص لا حدود له ولا استثناء فيه، وهذا ما عرفته
باكستان الحديثة، التي اختارت البيجوم لياقت على خان سفيرة
لها لدى هولانده .

هذه لمحات من أركان الاسلام المعنوية ، أو على الأصح من
بعضها ، وهي أهم من أركانه الشكلية، ذكرناها على سبيل المثال
تدليلا على عظمة الاسلام .



عالمية الاسلام

ذكرنا في حديث سابق نماذج من أركان الاسلام المعنوية التي اعتبرناها أهم بمرار من أركانه الشكلية، وهي التي سوغت وصف الاسلام بالحياة، فاذا قلنا «الاسلام» عني فوراً «الاسلام الحى» ولا غيره، «فالاسلام الميت» ليس من الاسلام فى شيء، والكلام عنه لغو وهراء بالنسبة لهذا الدين الكريم، ومن يشغلون أنفسهم بعث الشكليات وتفوتهم معنويات الاسلام الرفيعة وآفاقه الواسعة فلا صلة للاسلام بهم، بل هم طفيليون عليه وإن حملوا أسماء اسلامية لأسر اسلامية وحسبوا أنفسهم من أهله، وراحوا يفتون ويؤلفون أضحاحك وأضاليل ليست مبعدة الاسلام عن أن يكون الدين العالمى فحسب، بل تجعله غير صالح حتى لقريه فى قطر متخلف، وهو ذلك الدين الذى هباً الجو والمجال للبعث العلى الأوربى وللحضارة الانسانية النيرة بعد عود الظلام.

ولو أخذنا بعنجهية أولئك الناس - تلك العنجهية التي يبرأ

منها الاسلام - إزاء المرأة مثلاً لوجب على النساء المسلمات أن
يتبرأن من الاسلام تبرؤاً تاماً . ولكن لحسن الحظ تسير عجلة
الزمن إلى الامام ولاتبالي بالرجعيين والحفريين والعنجهيين .

ذكرنا أهمية المساواة كركن من أركان الاسلام المعنوية .

وثمة ركن آخر خطير هو « عالمية الاسلام » وهو ما يعبر
عنه عادة بصلاحيته لكل زمان ومكان ، ولو ضاع هذا الركن
لضاعت بضياعه رسالة الاسلام للبشرية .

هذا الركن الجليل الأهمية ينسأه أو يتناساه ولا يفهمه
المنتطعون ، في حين أن عالمية الاسلام من أهم خصائص الاسلام
فاذا فقدتها فقد شخصيته وصار شيئاً آخر لا يعرفه المستنكرون
إن عالمية الاسلام ركن أساسي للاسلام ، وكل تفاسير
مناقضة لروح هذه العالمية عدوة لدودة للاسلام .

والأصل في عالمية الاسلام ليست صلاحيته لكل زمان
ومكان فحسب بالنسبة لأهله بل قابليته الدائمة أيضاً لاجتذاب
غير أهله إليه وهذا يعنى اشعاعه الدائم من بابه المفتوح
بالترحيب والهداية وبمعاني الاخوة الانسانية .

الاسلام الحق ، الاسلام الحى ، الاسلام العالمى ، لا يقنع

بمكان أو زمان أو بيئة أو شعب أو أفراد، وإنما يعنى بالانسانية
جمعاء في جميع الأقطار ويهتم بخير البشرية كافة ومهما أفذر مناوئيه
ليردعهم عن غيهم كما ينذر الأب أبناءه، فان روح الاشفاق
والرحمة لا تفارقه ولو سترها الوعيد الشديد.

والاسلام كعقيدة عالمية يساير التطور المستمر لأنه يعتمد
على العقل والعلم المحقق، واحترامه للعادات المعقولة جزء من
احترامه للمنطق وللواقعية المفيدة. ولذلك كانت الشريعة
الاسلامية في لبابها واسعة يرضى عنها سكان الاسكا رضاء سكان
أفريقيا أو أوروبا أو أمريكا أو آسيا أو أية بقعة في العالم.

وفلسفة هذه الشريعة فلسفة استيعابية جامعة غير بجانبه
إلا ما ناقض العقل والعلم والآداب العالمية الوضع،
مثال ذلك بجانب الاسلام للخرافات والبدع والتهريج المضلل
واستباحة الاعراض والاعتداء على الخلق وحقوقهم،
وأما ما عداها فلا يحرمه الاسلام إطلاقاً. وفي (القرآن)
الشريف أمثلة من المحرمات التي كانت لها أسباب معقولة، فحينما
وجدت هذه الأسباب استمر التحريم وحينما انتفت الأسباب
انتفت النتائج المترتبة عليها. ومن الاختصاصيين الجامعيين،

رجال العلم والتحقيق يستمد تفسير الاسلام وتطبيقه كشرية
عالمية احتفظت من الشرائع السماوية السابقة باللباب الصافي الخالد
واحتفظت ببعض الشكليات النفيسة الرمزية ، وتفردت بعد ذلك
باتخاذها العقل - الذي يسانده العلم المحقق - أداة للتفسير والتطبيق .
لقد جاوزنا منتصف القرن العشرين وازدادت طواعية العلم
لخدمة الاسلام ، ومع ذلك لا يزال يوجد أناس كثيرون يثرثرون
باسم الاسلام احترافاً أو تجارة أو لهواً أو غباء - يثرثرون
بأباطيل وسخافات مضحكة مبكية هي أقرب ما تكون إلى
الوثنية البدائية وإلى كل ما جاء الاسلام للفضاء عليه ! وليس
دونهم إجراماً غير المسلمين الذين لا يفهمون مثقال ذرة
من روح الاسلام ثم يتولون تدريس ما لا يفهمون
وما لا يستسيغون !

والآن كيف يلهم القرن العشرون تفسير الاسلام وتطبيقه ؟
أولاً - أن الاسلام شريعة الديمقراطية بأوسع معانيها
سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وأديباً وغير ذلك . ومن ثمة كانت
المدنية الاسلامية قريبة الشبه بالمدنية الامريكية في أسسها ، وكان
ذلك سر التعاطف بينهما . ولا يكفي أن يقال إن الاسلام دين

الديمقراطية إذ لا يعنى هذا القول شيئاً إذا ما اقترن التطبيق بأى استثناء ، سواء بين الجنسين أو بين الألوان أو بين الشعوب أو بين الطوائف .

ثانياً — أن الاسلام هو الصلة بين العلم وما خلفه ، وبين المنظور وما وراء المنظور ، فهو الرابطة بين الحسيات والروحانيات ، وهو الترجمان عن كنه الحياة بما يتفق وتقدم الكون وسعادة البشرية . وكل ما أخل بذلك جملة أو تفصيلاً ونسب إلى الاسلام فالاسلام برىء منه .

ثالثاً — أن الاسلام طريقة للحياة الهنيئة الشريفة ، وليس مجموعة من المراسيم والشكليات والألفاظ والأحاجى التى لا يستسيغها أى عقل نير يحترم نفسه ، ويحترم غيره ، ويؤمن بمستقبل الانسان الحر الكريم الدائم التسامى .

رابعاً — أن الاسلام يبدش ببقاء الاصلح ، وبأن الارض لا يرثها من عباد الله إلا الصالحون ، وليست وقفاً على المصلين المسبحين ، بل قد لا يكون لهم شىء منها إذا كانوا يقولون مالا يفعلون ، وهو دين فى تفسيره وتطبيقه دائم التطور ، كما يتطور العلم وتطبيقه .

خامساً — أن الاسلام نظام إلهي صالح للبشر جميعاً إذا ما فسر التفسير النير السليم، وما مذهب أكبر خان ولا المذهب البهائي ولا مذهب الهيومانزم ولا أمثالها من المذاهب إلا مستمدة من ابواب الاسلام وتعاليمه الانسانية الحرة النبيلة .

سادساً — أن الاسلام دين التسامح التام، لأنه يحترم العقل وتفكيره مهما حذر وأذر من عواقب الضلال . ولذلك بلغت المدنية الاسلامية ذروتها حينما بلغ ذلك التسامح ذروته تحت راية الاسلام . وها نحن نجد الآن في باكستان الجمهورية الاسلامية قضاة غير مسلمين يطبقون الشريعة الاسلامية بكل أمانة وإحكام إزاء كل هذا نهيب بالمسلمين أينما كانوا، أن يتعرفوا كنوز دينهم، وأن يتبينوا حقيقة فلسفته، وأن يدركوا أن هذا الدين العظيم هو دين عالمي تفرض مبادئه الرفيعة ذاتها فرضاً على عقول المستنيرين كيفما كانت عقائدهم الموروثة، وبعبارة أخرى أن الروح الانسانية للاسلام تجعله سراجاً للبشرية جمعاء، ومن ثمة وجب أن يبقى باب محرابه مفتوحاً لبني الانسان طراً، وأن لا يحس مخالفوه بأن كرامتهم ضائعة، وحقوقهم مغمورة عند أهله، وأن يفترض دائماً أن مخالفيه سوف ينضمون إليه على كر الزمن

من تلقاء أنفسهم ، وعن طريق الاقتناع بتفوقه المطلق ، حتى ولو
كان هذا الافتراض بعيد التحقيق أو مستحيلا لاعتبارات تقليدية
أو سياسية أو اجتماعية أو غيرها ، وبذلك يبقى الاسلام رابطة
الاخوة للبشرية بأسرها .



الشركة المقدسة

ليست أركان الاسلام المعنوية خمسة أو أكثر أو أقل ، بل متعددة ، وكل ركن منها من صميم بنية الاسلام ولا يقوام له بغيره ، ومن أركانه الخطيرة المشاركة المقدسة بين الرجل والمرأة . إن المظهر الأسمى للمرأة هو الامومة ، والدين الذي يقول نبيه في صراحة « الجنة تحت أقدام الأمهات » ، يبالغها منزلة سامية . ليست المرأة تابعة للرجل في الاسلام كما هو شأنها في ديانات أخرى وإنما هي شريكة [حياته على قدم المساواة وإن تنوعت اختصاصات كل منهما دون أن يكون هذا التنوع احتساراً أو تقييداً جامداً ، فإن الاسلام يتميز بمرونته التطبيقية حتى ليتنوع تكيفه من عصر إلى عصر ومن جيل إلى جيل . ففي فجر الاسلام دعت الحالة الاقتصادية أن يكون الرجل قواماً على المرأة بمعنى أنه المسئول عن الانفاق على معاومتها لإيائه في بيته وفي حياته عامة كرعى الماشية وما إلى ذلك ، ونهى الاسلام الرجل عن أن يكون مستعبداً للمرأة أو قاسياً عليها . وبتغير

الأسباب تتغير النتائج حتى ليصح في الاسلام — تبعاً لذلك — أن تكون المرأة قوامه على الرجل في ظروف خاصة . والمجتمع الذي يقف في وجه هذه الشركة المقدسة إنما يناهض الاسلام ، ولا يصح أن يعد مجتمعاً إسلامياً صادقاً ، وانتقاص أركان الاسلام المعنوية إنما هو تقويض له ، وإذا كانت المرأة عند بعض الطوائف مظهراً للآثم ، فهي لدى الاسلام مظهر النبيل ، وهي عنده الأصل الذي يحقق العمران ويهيئ السعادة للبشرية . أجل ، ليست المرأة في نظر الاسلام شراً ضرورياً كما يقول الجاهلون ، إنما هي نعمة الرجل :

وإنما المرأة الدنيا بما جمعت إذا تربت وصانت حسننها الغالي والشركة المتعادلة بين شقي الانسانية لا مفر منها في أي مجتمع اسلامي سليم وهي مقدمة على أركان أخرى ، مذ كانت الأسرة الصالحة عماد الأمة الصالحة ، والشعوب الصالحة عماد الوحدة الانسانية الصالحة وأساس عالمية الاسلام .

كانت الشرائع القديمة - وفي مقدمتها شريعة (مانو) الهندية - تعتبر المرأة في حكم الملك للرجل (١) ولا تستثنى من ذلك شرائع

(١) المرأة في التاريخ والشرائع - محمد جميل بيهم ص ١٦٧ -

بيروت ١٩٢١ .

الصين واليابان وفارس واليونان والرومان . فلما جاء الاسلام
لم ينصف المرأة في حقوقها فقط بل عدها قرينة الرجل بكل
ما تعنيه هذه الكلمة من معنى ومغزى ، واعتبر شركتها المقدسة
أحد أركانه المعنوية الخطيرة .

كانت شريعة (مانو) تقول : « إن المرأة تابعة لوالدها في
طفولتها ولزوجها في شبابها ؛ فإذا مات زوجها تبعته أبناءها وإن
لم يكن لها أبناء تبعته أقارب زوجها ، لأنه يجب ألا تترك المرأة
لنفسها في حال من الأحوال ، وكان لليوناني « الحق في أن يهدى
امرأته بموجب وصيته إلى أي صديق يختاره . وبذلك لم يقتصر
على التصرف بها في حياته بل جعلها تحت الوصاية من المهد إلى
اللحد . وكان للفارسي أيضاً التصرف بها كأنها سلعة وأن يحكم
عليها بالموت كأنها حيوان أعجم . وزيادة على ذلك فقد اعتقد
بعضهم بأنه ليس لها روح خالدة ، وقرر آخرون أنه لا ينبغي أن
تعيش بعد زوجها ، وتسامح البعض بجواز تقديمها للضييف
تكريماً له . وليكن الاسلام نقض كل هذا الضلال نقضاً تاماً
ومحاه محواً ، فاذا باصلاحه يشمل لا المعاشرة والعلاق الزوجية
وحقوق المرأة المدنية فحسب ، بل أيضاً كل ما يجعلها نداء للرجل

في بناء صرح الانسانية ، فكان الاسلام بذلك ثائراً مصلحاً ملهماً عظيماً . والاسلام لا يقبل دون ذلك حتى ظن بعض الباحثين أن الرسول عليه السلام كان متحيزاً للمرأة ، ورأى آخرون أنه كان أكثر مناصرة للرجل . وكل هذا غير صحيح . أما الحقيقة فلا هذا ولا ذاك وإنما يحتوي الاسلام في لبه جرثومه التطور ، ويحتوى القرآن الشريف تعاليم مطابقة أحكم مطابقة لظروفها وعلى هذه الظروف يقاس . وعند فجر الاسلام أعطيت المرأة من الحقوق والمعاملة ما لم تكن تحلم به ، بل ماتجاوز - بسخاء - ظروفها ، وبهذه الروح يجب أن يقاس .

وهذه الروح هي التي يجعلها كثيرون ممن يكتبون أو يحاضرون عن الاسلام وهم على غير هدى من فلسفته ولو كانوا من أهله كأنما على بصيرتهم غشاوة .

نعم إن روح التطور والمرونة وثيقة الصلة بتطبيق تعاليم الاسلام بل هي مفتاح تطبيقه .

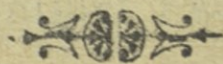
وإلى أن يفهم الناظرون والمتكلمون أن الاسلام دين تطوري تقدمي وأن كثيراً من الأحكام التي جاء بها هي أحكام نسبية ألفتها الظروف في حين أن قلتها أحكام دائمة وهي

ما اتصلت بالآداب والمثل العليا - إلى أن يفهم الناظرون
والمتكلمون ذلك فسيستمرون خابطين خبط عشواء في وصف
الاسلام بما هو غريب عنه ، ومن بين ذلك حديثهم الوهمي عن
« حقارة ، المرأة في الاسلام ، وهو الذي رفعها إلى اسمى المراتب
وهيأها لأن تتبوأ حتى رئاسة الدولة .

وقد أضحكنا أن نقرأ أحاديث منسوبة إلى الرسول عليه
السلام ، فيها الخط من منزلة المرأة ، مما لا يقبله العقل ولا يقره
التاريخ النزبه الذي يعرف للنبي العربي أنبل المواقف في إنصاف
المرأة وحماية شركتها المقدسة مع الرجل .

ومما يزيد الطينة بلة أن تدريس الثقافة الاسلامية والشريعة
الاسلامية هو غالباً في أيدي المقلدين النقليين والجامدين المتحجرين
الذين لا يفهمون من روح الاسلام التقدمية شيئاً أو في أيدي
عدد من الأجانب معظمهم - إن لم نقل كلهم - مشغول غالباً
بتسجيل البدع والأوهام والخرافات وأدوار الجود والانحطاط
وكل ما ينافي روح الاسلام ، كأنما مهمتهم التدريسية الجامعية
محصورة في هذا العبث ولا تعرف شيئاً عن الحركات التقدمية
الاسلامية التي هي من صميم الاسلام ، وقد خدمت الانسانية
أجل الخدمات على كر العصور .

ولذلك وجب علينا أن ننبه في هذا المقام إلى هذه الحقيقة
المؤسفة القائمة في الغرب والمؤدية إلى أسوأ النتائج السياسية
والثقافية والدينية ، كما لنا أن ننوه مغتبطين باهتمام الدوائر الجامعية
الأمريكية اهتماماً بالغاً بأمر الثقافة الإسلامية الحديثة وبوجوب
إسناد تدريسها إلى أصحابها من جهاذة المسلمين .
وإن نؤس لا نؤس كيف كنا نستمع قبلاً إلى محاضرات عن
« المرأة المسلمة » يلقيها أناس لا صلة لهم بالإسلام ولا تعاطف
بينهم وبين أهله ، فكانوا يقلبون الحقائق رأساً على عقب ،
ويشوّهون جمال الإسلام ، ثم أتيج لنا أن نقف على محاضرة
للسيدّة عزيزة شكرى عقيلة الدكتور أحمد حسين (سفير مصر
في واشنطن) في هذا الموضوع ، فعرفنا كيف تنصف المسلمة
المتقفة بنات جنسها المسلمات وتنصف الإسلام ، وتمنينا لو أن
مشيقاتها وأمثالها انتشروا للمحاضرة في البيئات الغربية أسوة
بما أخذت أمريكا به أخيراً من تشجيع المسلمين والمسلمات من
ذوى المواهب للمحاضرة الميرة عن الإسلام — إذن لأدرك
الغرب - كما يدرك الشرق - معنى « الشركة المقدسة » كركن
خطير من أركان الإسلام .



نشأة التصوف الاسلامى

نشأ الاسلام فى بيئته يغلب عليها الطمع المادى هى بيئته قريش ، فكان بمثابة ثورة على رأسماليتها وحبها الاحتكار أو التفرد بالاستغلال ، ولذلك جاء فى الكتاب العزيز : « تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، ونحو ذلك من الآيات الحاثه على الزهد والتقشف ، وكان الرسول الكريم بسلوكه المثالى فى حكم المتصوف الاسلامى الاول (١) ، وكذلك كان بوجدانه التأملى .

ويتولى إجناس جولد تسيهر (Ignaz Goldziher) — وهو من نعلم منزلته فى النقد التاريخى الاسلامى : « كان الاسلام فى أول أمره تسوده فكرة اطراح العالم والزهد فيه ،

(١) راجع كتاب (العناصر التصوفية فى محمد — Mystical Elements in Mohammed) للاستاذ جون كلارك آرشر ، طبع جامعة ييل فى أمريكا ١٩٢٤ ، وكتاب (التصوف الاسلامى Islamic Sufiam) للسردار إقبال على شاه ، طبع لندن ١٩٣٣ .

وذلك في الوقت الذي غلبت فيه فكرة التوكل والشعور بالخضوع
المطلق .

كتب علي بن أبي طالب : « إنما مثل الدنيا كمثل الحية ، لين
لمسها ويقتل سمها ، فأعرض عنها وعمما يعجبك فيها ، لقله
ما يصحبك منها ، ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها . وكن
أسر ما تكون فيها ، أحذر ما تكره منها ، فإن صاحبها كلما
اطمأن فيها إلى سرور أشخص منها إلى مكروه . »

وقال منصور بن عمار : « إن لله عباداً جعلوا ما كتب عليهم
من الموت مثلاً بين أعينهم ، وقطعوا الأسباب المنصلة بقلوبهم
من علائق الدنيا ، فهم أنضاء عبادته ، حلفاء طاعته ، قد نضحوا
خودهم بوابل دموعهم وافترشوا جباههم في محاريبهم ، يناجون
ذا الكبرياء والعظمة في فكاك رقابهم . »

أمثال هؤلاء الرجال على قلوبهم وجدوا في عهد النبي عليه
الصلاة والسلام وكان يعطف عليهم ويدعوهم إلى مائدته .
وأولئك في نشوتهم يمثلون المتصوفين الخالص ، ولا صلة لذلك
بقرب نشأة الاسلام ، فالأمر أمر مزاج واستعداد وجداني .
ومع أن الرسول الكريم قال في صراحة حكيمة بليغة :

• اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت
غداً ، وأوضح أن الزهد المطلق في الدنيا ليس من الشريعة
الإسلامية بل هو عكسها ، فإن موقف أولئك المتصوفين —
الذين كانوا يعدون أنفسهم « أولياء الله » — لم يتبدل ، لأن
التصوف الديني كان من صميم فطرتهم ، ولأن الآيات القرآنية
الجميلة التي تحت على تسبيح الله وعبادته في آياته وما كوته تركت
أثراً عميقاً في نفوسهم . أولئك الأتقياء احتضنهم القرن الأول
للهجرة خاصة . وأشار المؤرخ أبو الفدا إلى فقرائهم المتنقلين
الغرباء الذين كان يعطف عليهم النبي الكريم ويحسن إليهم
ويوعز إلى الصحابة بمثل ذلك نحوهم .

ولما أحس ولاة الأمور المسلمون بأنه لا أمان للإسلام ولا
للمسلمين بينما يحتمهم الأعداء الالقاء مهديين حياتهم ، رأوا أن
الفتح لا مناص منه كدفاع استراتيجي عن وطنهم وقد اعتمدوا
على الدعوة قبل السلاح لاجتذاب المحالفة والعون إن لم يكن
الانضمام إلى الإسلام ذاته ، وهكذا تلاشت « أفكار الزهد
والتقشف الأولى ، ازاء غنائم الفتوحات وبرزت الناحية العملية
القوية في الإسلام .

ومع ذلك نعلم جيداً أن عمر بن عبد العزيز — على ما روى
الطبري — كان يتشدد في وضع الجزية عن أسلم ، وسارت في
الآفاق كلمته المشهورة : « إن الله بعث محمداً داعياً ، ولم يبعثه
جائياً ، . وهكذا بقيت للإسلام — عملياً ، حتى في انتصاراته
المادية العظيمة — نزعة المثالية ونقاؤه ، ما بقي يرعاه الخلفاء
الصالحون والولاة المتقون ، وكان أبو ذر الغفاري الحارس
الأمين في عهد معاوية لتلك النزعة وذلك النقاء . وفي ذلك الجو
بقي التصوف الأول على ما هو عليه ولكن بين قلة .

وتمر القرون ، وينحدر الإسلام عن ذروة العلم ، فيتلقفه الجهل
مستعبداً مؤذياً ، وتحل بدل شاعرية المتصوفين الأولين نغمة
خلفائهم المرتزقين — والشاذ لا يقاس عليه — حتى يصبح
التصوف الإسلامي بمراسيمه وأوضاعه وجماعاته هزواً وسخرية
في الغالب . وقد عرض لنا الدكتور زكي مبارك في كتابه
(التصوف الإسلامي) ألواناً من هذا العبث الذي تصدق
نسبته إلى الروح الإسلامية .

فالتصوف الإسلامي الذي نشأ منذ فجر الإسلام في عهد
الرسول صلوات الله عليه ، كان في البداية انقطاعاً للعبادة

وإعراضاً عن زخرف الدنيا وطيباتها ، أى تقشفاً وزهداً ،
فالتصوف والرفاهية لا يجتمعان .

وعندنا أن نشأة التصوف الاسلامى هي — أولاً — رد
فعل للاستغلالية الغاشمة التي كانت متفشية بين سادة العرب ، وهي
— ثانياً — استجابة متطرفة لدعوة الاسلام الجميلة للتأمل في
الطبيعة والاعتراف من أسرارها وتسبيح الله سبحانه وتعالى
بالاندماج في آياتها ، فالسبب الأول اقتصادى ، وأما السبب
الثاني — وهو الأهم — فوجداني صرف ، لامناص لآي مسلم
تقى من التأثر به ، إن قليلاً أو كثيراً حسب طبيعته ومزاجه
وثقافته .

وفي عدد أغسطس ٥٤ من مجلة (البعثة) الكويتية التي تصدر
في القاهرة مقال نقدي للأستاذ محمد رضوان أحمد عن التصوف
ونشأته يدعونا إلى لفت نظر الكاتب الفاضل إلى كتاب الاستاذ
الدكتور آرثر آربرى الموسوم (مدخل في تاريخ التصوف (١)

An Introduction to the History of Sufism
by Arthur I. Arberry, Litt. D.)

(١) طبع لندن ١٩٤٢

للمقارنة بين ما ذهب إليه وبين ما سجله آربري وغيره من
الباحثين المدققين عن نشأة التصوف الاسلامي .

وقد ختم الكاتب مقاله بالانحاء على المتصوفة الذين اتخذوا
التصوف شركاً ليعيشوا على حساب الغير ، وقال : إن الاسلام
لم يبتل بهم إلا بعد ترجمة فلسفات القدامى في العهد العباسي .

وعندنا أن ترجمة الآثار اليونانية خاصة خدمت الثقافة
الاسلامية ، وأن عبث المتصوفين المتأخرين هو وليد الجهل العام
والوصولية والنفعية ، ولو كان للفلسفة الحقبة يد في أمره لمحتة محوآ .

وأما التصوف الاسلامي الحقيقي فلا شأن له بالخزعبلات
السائدة الآن — وقبل الآن — باسمه ، وقد بلغت غاية تدهورها
في هذا الزمن .

ولم نقل نحن إن المتصوفين الاولين بزهدهم في طيبات
الحياة كانوا أوفياء لروح الاسلام ، وإنما اكتفينا بالإشارة إلى
ظاهرة إن دلت على شيء فعلى بعد أولئك الأخيار الكرام عن
الاتجار باسم الدين واع — تزازهم بثروتهم المعنوية ، وهكذا لم
يكونوا مجافين روح الاسلام المجيدة بتخليهم عن المادة ، وشتان
بين حالهم وحال أغلبية المتصوفين المسلمين في عصرنا الحاضر .

المعجزات المحمدية

في أوائل القرن السابع الميلادي أعلن محمد بن عبد الله رسالته للبشرية من منبر العروبة، وقرنها بسلسلة من المعجزات المفحمة أو على الأصح بمطلع هذه المعجزات التي تزيدها الأيام تجلياً لن ينقطع.

فما هي هذه المعجزات؟ وما سر تجليها المزداد؟

إن ازدياد تجلي هذه المعجزات المحمدية على مر القرون دليل على ما يكمن في الإسلام من طاقة عظيمة لا تنتهي، بل تزداد سطوعاً وإحياء وعظمة لأنه دين تطوري لا يعرف الجمود.

أما هذه المعجزات فتعددة تنبثق من صلب الإسلام وهي :-

أولاً : القرآن - لم يعرف عن رائد - سابقاً أو حاضراً -

أنه تقدم للإنسانية بوثيقة جمعت جمعاً شاملاً لأفوى العناصر الثلاثة البالغة التأثير في الوعي واللاوعي معاً كما صنع النبي محمد صلوات الله عليه .

أما هذه العاصر الثلاثة فهي اللغة، والدين، والمثالية .
فاللغة كانت وما زالت منافسة للدين في التأثير على الأذهان
وربط القلوب ، حتى وجدنا كثيرين من المسيحيين، وعلى الأخص
الكاثوليك، محبين إلى المسلمين وإلى العرب جملة لعنايتهم الفائقة
باللغة العربية - لغة العروبة بجميع مقوماتها وطوائفها ، وقد
أسدوا ما أسدوا من الخدمات الجلى لها في فقه اللغة والبحوث
الأدبية التاريخية خاصة ، وهذه مجلة (المشرق) البيروتية شاهد
عيان على مآثرهم المستمرة ، وهنا في واشنطن العاصمة بالذات
ينظر المسلمون بل العرب جميعاً إلى الأب أربز Father Arbez
أستاذ العربية بالجامعة الكاثوليكية نظرة المحبة والاحترام
ويعدون له واحداً من صميمهم ، كما يعز أمثال المستعربين الأفاضل
هارولد جلدن Harold Glidden (في مكتبة الكونغرس)
ومايرون سميث Myron Smith المعنى خاصة بالثقافة
الإسلامية ، وإتنيجهاوسر Ettinghauser من رجال متحف
الفن (Fraer art Gillary) . وإن ندس لاندس جهود
الجزويت في (المنجد) والتحقيقات اللغوية ، ولا مآثر
المطارنة الأعلام غريغوريوس حجار وجورج يوس حكيم

وجرمانوس فرحات وأندادهم .

وقبل ثلاثة عشر قرناً على لسان محمد بن عبد الله تجلي عامل
اللغة الفعال أروع التجلي في القرآن المجيد ، فوضع الأساس
في التفاف العرب جميعاً حوله على مر القرون ، وما من عربي
حر صميم الآن إلا ويعبد النبي محمداً أعظم أبطال العروبة على
اختلاف طوائفها ، وقد جاءت العربية القرآنية بأصالتها وإبداعها
تحفة فنية عديمة المثال ، فصارت فخراً أديباً يعتز به كل عربي
ولو لم يكن مسلماً ، حتى عرف عن نفر من العرب المثقفين غير
المسلمين حفظ القرآن عن ظهر قلب ، وكان بين هؤلاء حديثاً
المطران غريغوريوس حجار .

وإلى جانب هذا التراث الأدبي الذي بلغ الذروة في مقامه
جاء القرآن بدين عقلى روحى عظيم لا يمكن أن تتطرق إليه
أو تلتصق به الخزعبلات والأوهام والسفاسف إلا عرضاً ثم تزول
وهذا هو العنصر الثانى للمعجزة القرآنية - عنصر الدين الجذاب .
أما العنصر الثالث فهو عنصر المشالية التي تستهوى العقل
والخيال معاً استهواء لا يحد ولا ينتهى .

هذه العناصر الثلاثة تكونت المعجزة القرآنية وتوجت

جميع المعجزات المحمدية التي تعد في الواقع متفرعة عليها . وخلد
القرآن الشريف بعناصره الثلاثة الجسارة خلوداً مطلقاً لا
يتزعزع فكان معجزة المعجزات التي جاء بها الرسول .

ثانياً : الثورة للكرامة الانسانية — ظهر محمد فرداً بثورة

على الظلم والظالمين كيف كانوا وأينما كانوا ، وبين أولئك سدنة
الشرك والوثنية ، لأنهم في حكم الممتهين للعقل الانساني . ظهر
بهذه الرسالة وهو رجل أمي لا ثروة له ولا طائل ، وتشبث
بأيمانه ، فانتصرت عقيدته على الرغم من العقبات الهائلة التي
أحاطت به والتي كانت كافية لاجباط همة أي انسان سواه .
ولم يلبجأ إلى الخديعة في تحقيق رسالته وبلوغ أهدافه كما صنع مثلاً
عبدالرحمن الداخل أو أبو جعفر المنصور ، وإنما اعتمد على الحق
والاخلاص فحسب ، كما نوه بذلك المستشرقون المصنفون .
فكان انتصاره في تلك المعمعة الطاحنة معجزة بالغة .

وقد مرت القرون دون أن تخبو معانيها المتألقة ، فألهمت
السلوك الاسلامي على مدى القرون . . ألهمته كل من تشرب
الثقافة الاسلامية من الشعوب غير الاسلامية .

وثورات الحرية والأخاء والمساواة والديمقراطية التي تتابعت

في العالم عصراً بعد عصر، وودعت الشورى والعدالة، يمكن تتبع
أصولها إلى صميم التعاليم الإسلامية التي بلغت أوجها من
الازدهار في الأندلس وفي الجامعات العربية بأورو، با. فغرس
بذور هذه الثورة التي لا تنتهي مظاهرها وجدواها لرقى الإنسانية
المواصل معجزة أى معجزة، وعندنا أنها وحدها كافية لوضع
الرسول في المنزلة العليا من القيادة بغض النظر عن عظمتة الدينية

ثالثاً: المثالية العلمية — قدم محمد الرسول الأسمى للعالم

مثالية قوامها العلم والفلسفة العلمية، وهو دائم التذكير بالعقل
والمنطق. وهذه المثالية العلمية هي التي عصمت الإسلام من أن
يكون يوماً ما دين تأخر وعنجبية.

وقد جرى هذا في وقت لم يكن للعلم الواقعى شأن مذكور
في حياة البشرية، بل كان الشأن للسحر والكهانة والنقايد الخرافية
وعبادة الأوثان.

واستناداً إلى هذا الأساس الراسخ نادى الإسلام بصلاحيته
النافعة لكل زمان ومكان، كما نادى بأن المستقبل له، وبهذا تقدم
النبي بمعجزة أخرى لم تدركها أفهام الناس قبله ووضع الأساس
لديانة تقدمية صادقة تراعى الغرائز بقدر ما تهذبها، وتحترم العلم

والعقل وتوجه الإنسان إلى تفسيرهما الكائنات وإلى هديهما في تطبيق الدين .

رابعاً : الرسالة العالمية — لم يحصر محمد رسالته في قومه بل ارتفعت عظمة شخصيته فوق حدود البيئة والمكان والزمان وهذه العظمة الذهنية الروحية هي إحدى معجزاته العظيمة التي أنزلته فوراً منزلة « السرمان » .

ومن أهم نواحي هذه الرسالة بر الإسلام بمخالفته وأنصاره على السواء ، فهو لا يغلق باب الرحمة في وجوه الأولين ، بل لا يغلقها في وجوه الآثمين مهما أنذرهم وهددهم لأجل ردهم عن غوايتهم وخوفهم بأهوال الجحيم ليثوبوا إلى رشدهم .

خامساً : تقديس السلام — دعا محمد إلى تقديس السلام بدل تمجيد الحرب ، وحرّم الحرب الهجومية — حرب العدوان — تحريماً باتاً ، مخالفاً بذلك تقاليد قومه ، وشرائع زمنه ، فأثبتت تجاريب الإنسانية على مدى القرون حصافة تعاليمه التي شرع الناس يأتون بها كما ترى في هيئة الأمم المتحدة وفي الوكالات والمنظمات العديدة المتفرعة عليها أو المتمشية معها ، وهذه معجزة أخرى عظيمة ، فالسلام الذي اشتق الإسلام من لفظه ومعناه ،

أصبح الآن قبلة الانسانية ، تصلى له في كل آن ، ولا ترى
سواه مخلصاً لها من أدوائها ، في حين أن الإسلام نادى به منذ
أكثر من ثلاثة عشر قرناً . وهذا مثال للمعجزة التي تزداد تألقاً
وهداية للبشر على كر العصور .

هذه طائفة من المعجزات المحمدية وليست كلها ، ولكنها كافية
للتدليل على عظمة محمد وعظمة تعاليمه . وأما الخوارق التي ترد
ولا يقبلها العقل ، فلا محل لها من الصحة والاعتبار ، وما هي
إلا رموز زمنية قصصية فحسب ، وما كان الإسلام الصحيح
لهواً وعبثاً .



الاسلام والصالح العام

الحديث عن الاسلام والصالح العام هو الحديث عن اهتمام
الاسلام بخير البشرية عامة ، وهو ضمن ذلك الحديث عن
الاسلام والعالم الحر .

لم تكن رسالة النبي الكريم مقصورة على نشر الدعوة إلى
الحق بالحجة والاقناع فحسب ، ولم تكن مكثفية بالتحجيب إلى
الاسلام وترهيب المشركين كيفما كانت مراكزهم من عواقب
ضلالهم ، بل عنيت بما هو أعظم وأعم من ذلك — عنيت
باعتبار المجموع الانساني ، آجلا إن لم يكن عاجلا ، ضمن حظيرة
الاسلام ، ولذلك أوصى الاسلام بتلبية استجارة المشركين حتى
يقلعوا عن غيهم ، وإذ بشرهم بعذاب أليم لقاء فجورهم لم يوصد
في وجوههم باب التوبة ولا باب الرحمة الالهية .

وليس هذا فحسب ، بل عنى الاسلام بدفع الجور والعدوان
عن البشرية ، واهتم بمساعدة الشعوب المختلفة على التحرر من

العبودية سواء أكانت قومية أم أجنبية ، وهذا هو السر في حماسة
المسلمين الأتقياء المخلصين لتحرير الشعوب المستضعفة المستدلة
من الجبروت والاستغلال إلى جانب هدايتها الديئية .

وما كانت الحروب الإسلامية — أى التى أباها الإسلام
حقاً — حروب اعتداء ، وإنما كانت حروب دفاع أو حروب
انقاذ للأمم العانية أو للمسلمين المهديين .

والإسلام لا يشغل نفسه بالفرد وحده ، وإن كانت حقوق
الفرد عنده محل الرعاية ، بل الصالح العام ذو شأن خطير في
اعتباره ، والصالح العام لا يعنى فى نظر الإسلام صالح جماعة
أو قوم فقط ، وإنما يعنى صالح البشرية جمعاء وهى التى شغل
الإسلام بخيرها دواماً ، حتى أن تعبير الأمة الإسلامية ، محدود
فى نظر المسلمين الحصفاء مرادفاً للبشرية ، إذ أن الإسلام
يتشبه باعتناق البشرية إياه فى النهاية ، وأنها باعتناقه ، أو باعتناق
مبادئه تحت اسم آخر أو أسماء أخرى ، إنما تناصر السلام الذى
بشر به الإسلام ، وتحقق الوحدة الانسانية السامية .

ليس الأصل فى الدين الإسلامى الخوارق بل العقل والعلم
لخلاص البشرية وسعادتها . هذا هو معنى الصالح العام فى نظر

الاسلام ، هو السعادة الشاملة التي يأخذ كل فرد بنصيبه منها ،
وليست تلك التي تكون اسماً على غير مسمى ، وتتجاهل حقوق
الفرد التي هي الأساس الأول للمجتمع القانع الهنيء .

إن الجمع بين رعاية حقوق الفرد وحقوق المجموع — وهو
ما ينطوي تحت تعبير « الصالح العام » ، — من مزايا الاسلام التي
تأثرت بها الديمقراطيات الحديثة وأخذت عنها . والاسلام
يعتبر الديكتاتورية منافية للصالح العام — سواء أكانت
ديكتاتورية سياسية أم دينية أم غير ذلك .

وإذا كان الاسلام لا يرضى قيام طبقة من الكهنوت الديني
فهو من باب أولى لا يرضى قيام طبقة من الكهنوت السياسي أو
الاجتماعي ، إذ أنه يعد ذلك منافياً للصالح العام جملة ، ومنافياً
لحقوق الانسان التي تشمل حرية التفكير وحرية التصرف
المشروع ، وملقياً بالانسان في خضم من الترهات والخرافات
والتعصبات المريضة التي تناهض وحدة الانسانية .

« الصالح العام » ، في نظر الاسلام هو إذن تعبير أوسع جداً
بما يحمله اللفظان ، فالاسلام يذهب إلى أبعد من اعتبار صالح
معتنقيه هو الصالح العام . إنه لا يقنع في وقتنا الحاضر مثلاً

بأربعمائة مليون ممثلين في مجموعهم ما ينعت « بالامة الاسلامية »
بل بحسب الامة الاسلامية هي البشرية كافة ، لأن الاسلام يبشر
بصلاح الانسان وبرقيه إلى غاية تكون فيها مبادئ الاسلام
هي السائدة بين الناس تحت راية السلام .

الاسلام إذن عقيدة تفاؤلية تبشر بقدرسية الروح الانسانية
وبجمال الحياة ، وبالخفاوة بالدنيا والآخرة معاً ، وبأن الصالح
العام لا بد أن يشمل كل هذا الخير الناس جميعاً .

والاسلام الواعي المتسامح يقول : « وقل الحق من ربكم فمن
شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » كما يقول « لا إكراه في الدين
قد تبين الرشد من الغي » فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله . فقد
استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم »

وهو بهذا التصريح يشعرنا بأن وراء تسامحه الثقة المطلقة بأن
البشر على اختلاف أديانهم بل والكافرين مجتذبون حتماً إليه
في نهاية الأمر ، ولو مرت في سبيل ذلك قرون .

مدح أبو العباس عبدالله أول الخلفاء العباسيين لسخائه
وملاحظته ورويت عنه الخطبة الآتية إثر مبايعته . قال : « الحمد لله

الذي اصطفى الاسلام لنفسه ، فكرمه وشرفه ، وعظمه ، واختاره
لنا وأيده بنا ، وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوامين به والذابين
عنه .

ثم ذكر قرابتهم من رسول الله بايات من القرآن ، إلى أن
قال : « فلما قبض الله نبيه قام بالأمر أصحابه ، إلى أن وثب
بنو حرب ومروان ، فجاروا واستجاروا ، فأملى لهم حيناً حتى
استوفوا ، فانتقم منهم بأيدينا ، ورد علينا حقنا ، ليمن به على
الذين استضعفوا في الأرض ، وختم بنا كما استفتح بنا ،
وما توفيقنا - أهل البيت - إلا بالله . »

هذا الخطاب الكلاسيكي الذي استهلته به دولة عاشت خمسة
قرون ورابع القرن تقريباً ، ينانى الصالح العام ، ومن ثمة ينانى
الاسلام الصحيح ، ولو أن صاحبه تمسح بالاسلام وأهل البيت ،
فالحكم في الاسلام لا يعرف شيئاً ينعت بالقرابة النبوية أو أهل
البيت ، وإنما يعرف الكفاية ، والأهلية الصالحة ، والتقوى في
رعاية الصالح العام ، واحترام حقوق الناس وأرواحهم ، وقد
كان هذا الخليفة مولعاً بسفك الدماء حتى لقب « بالسفاح » ،
وهذا منكر عظيم ، وأثم هائل لا يرتكبه مسلم ولا يشترك فيه

ولم يكن أخوه أبو جعفر المنصور بأفضل منه كثيراً ، فقد قتل
خلقاً كثيرين ، ومن بينهم أبو مسلم الخراساني الذي مهد ملك
العباسيين ، فكان مضرب المثل في الغدر ، وما هذا من شيم
المسلمين ، ولا من وصايا الاسلام ، ولا بما يتمشى والصالح العام .
وإذا كان أبو جعفر أول خليفة أمر بنقل المعارف الأجنبية
إلى العربية خدمة للثقافة وتنويراً لأذهان العرب ، فما كان هذا
بالذي يكفر عن سلوكه الآخر الشاذ ، لأن الصالح العام كل
لا يتجزأ ، وسياسة الجبروت والقتل مما ينفر الناس من الإسلام
والمسلمين ، وبالتالي مما يؤدي إلى خذلان الرسالة المحمدية التي
ترمى إلى السلام العام ، والطمأنينة الشاملة ، والأخوة البشرية .
وما انتفاع الناس بترجمة اقليدس أو كليلة ودمنة أو بتدوين
الفقه والحديث والتفسير إذا كانوا غير آمنين على أرواحهم
وأعراضهم ، لا يملكون حرية القول والكتابة ، والاسهام التام
الطليق في خير مجتمعهم وخير الإنسانية ؟

إن الصالح العام في نظر الإسلام لا حدود له ، وأما الضرر
العام فأهونه غير هين في نظر الإسلام ، ويبدأ بضرر الفرد مسلماً
كان أم غير مسلم ، مواطناً كان أم أجنبياً ، لأن هدف الإسلام
النهائي — كما المعنى — شمول الجميع تحت رايته ، والكل في

اعتباره بمثابة أخوة .

ونحن إذا تأملنا في محاضرات المستشرقين عن تاريخ الفقه الإسلامي (ونذكر على سبيل المثال محاضرات الدكتور يوسف شاخات الأستاذ بجامعة كونيكتيكت والاساذ بالجامعة المصرية سابقاً) وجدنا أن أغليبتها الساحقة مجرد (كتالوجات) لآراء وتفسير أملاها اجتهاد لا تسانده إلا ثقافة لغوية وأدبية ، ولذلك كانت أشبه بالجهل منها بالعلم .

وأعجب ما في هذه المحاضرات — التي انغمس في مشيلاات لها المسلمون النقليون انغمسهم في تأليف طويلة عريضة كأنها مكتوبة في كوكب آخر لأناس لا نعرفهم — أنها خالية تماماً من حقيقتين هما لباب الشريعة الإسلامية والفلسفة الإسلامية ، ولا معنى للفقه الإسلامي إذا تجرد عنهما ، وهما لا تحتملان تكرار التنبيه إليهما :

فأما الأولى فقيام الإسلام كمشالية وشريعة لخير البشر كافة ، أي للصالح العالمي في كل وقت وفي كل قطر ، والقاسم المشترك الأعظم بينها جميعاً ، التفسير العلي للقرآن وللحديث ، لأن العلم المحقق هو النور الساطع الثابت على كر الأجيال ، وما عداه أوهام وتخليط .

وأما الثانية فهي أن القرآن الشريف الذي لم يفرط الله فيه
من شيء ، فيه أساس الأسس ، وجرائم النواميس وصور متنوعة
من الأحكام المعللة التي تتنوع ، أو تبدل ، أو تتوقف بتنوع
علمها أو تبدلها أو توقفها ، وعلى هذا الاعتبار نشأت (القوانينات)
العثمانية والتشريعات المدنية في مصر وغيرها من الأقطار
الإسلامية المتقدمة التي أدركت أن كل تحويل أو تجديد تشريعي
توحي به الظروف إنما هو من صميم تعاليم الإسلام ، وأن
التطور الدائم في هذا المجال لا يتفق وروح القرآن فقط ، بل بما
يحتم الإسلام استمراره ، كما جرى في أمور الأحوال الشخصية
والجنائية وسواها ، بل قل في جميع مرافق الحياة ، لأن الصالح
العام يدعو إلى ذلك ، والصالح العام هو المهيمن الأعظم في
تطبيق الإسلام ، ومن أجل الصالح العام الكفيل بسعادة البشرية
تجلى الإسلام ثورة على الظلم والظالمين ، وعلى كل ما يمتن العقل
والشخصية الانسانية ، وهكذا كان الصالح العام ينبع الدستور
الإسلامي ولم يتقيد هذا الصالح العام بأى قيد سوى قيد العلم
المحقق ، الذي هو أداة الدين ، كما أنه الناموس الذي تسير بموجبه
الكائنات جميعها ، وهو هو الأمين الوفي على الصالح العام .

الارتداد عن الاسلام

القرآن — كما نعلم جميعاً — هو دستور الإسلام الأعلى بل هو دستوره الوحيد ، وهو كتاب مبادئ وأصول ، لا شروح وتفصيل ، والأحاديث النبوية الصحيحة لا يمكن أن تخرج عن كونها شرحاً للقرآن ، فما ند منها عن ذلك لا يمكن قبوله ، وتحتم علينا أن نعتبره منتحلاً ، ومثله ما يروى عن السيرة النبوية .

ولا عجب في ذلك فان بدء تدوين الحديث على يد عروة ابن الزبير ، كان بعد وفاة الرسول بأكثر من نصف قرن ، وقد تجردت تلك الأحاديث عن أى سند ، كما أن الاهتمام الجدى بالتدوين لم يقع إلا في القرن الثانى الهجرى ، وكثير من هذه الأحاديث منافع كل المنفعة لروح الإسلام النائرة المصلحة ، والإنسانية العظيمة ، وبالباغة المرونة وفاقاً للصالح العام فى كل زمان ومكان .

يتفق فى هذا الحكم المستنيرون من أئمة الإسلام وفى طلبعتهم

من معاصرنا الشيخ عبد العزيز جاويش، وكتابه: «أثر القرآن
في تحرير الفكر البشري»، و«الإسلام دين الفطرة والحرية»،
أشهر من أن يعرفا، والمستقلون من غير المسلمين وفي مقدمتهم
من معاصرنا المستعرب التركي الدكتور إدهم، الذي يقول في
مقدمة كتابه الموسوم «من مصادر التاريخ الإسلامي»، ما نصه:
«لقد اهتزت أوتار العقل البشري عندما ظهر الرسول محمد في
فلوات جزيرة العرب، يدعو الملائ إلى رسالته العالیه «الإسلام»،
وقد كان الإسلام بتشريعه ومبادئه نتاجاً لجهد العقول من عصر
المسيحية إلى القرن الخامس الميلادي، حيث تمخض العقل الديني
في فيافي الجزيرة عن الدين الإسلامي.

ظهر الإسلام في مكة، ولم يلبث طويلاً حتى انتشر في جزيرة
العرب، ثم لم يلبث — لعوامل اجتماعية، وأخرى اقتصادية —
أن غزا سوريا وما بين النهرين، ولم يأت أواخر القرن الأول
الهجري حتى كان الإسلام قد ملك ناصية المشرق، من الصين
إلى الأطلنطيق. وكانت حركة مد الإسلام من الحركات التاريخية
الفاصلة بين عهدين في تاريخ المشرق في فترة القرون الوسطى،
إذ حفظ الإسلام — بمدنيته التي خلقها — تراثاً للإنسانية

خرجت به من جهادها الطويل في فترة تلبد فيها جو المعرفة
وتحجرت خلالها أسباب النشوء عن الأخذ بالعقل الإنساني إلى
سلم الارتقاء .

في ذلك الوقت الذي أغمض فيه العالم جفونه وذهب في
سبات عميق وأخذت غيوم النعصب الحالككة مع سحب الجهالة
السوداء تتجمع في سماء المعرفة ، أخذت الحياة تدب في موات
الشرق — في الشرق الأقصى لتمخض عن حضارة الصين الزاهرة ،
وفي الشرق الأدنى لتولد حضارة الاسلام الزاهرة .

أيقظ الإسلام العقول الجامدة من سباتها وولد في تيار العقل
الإنساني مجرى جديداً ، ولم يمض القليل حتى أخذ التاريخ يرى
في ربوع الشرق الأدنى مدنية خالدة بآثارها إلى اليوم .

ولو لم يكن للإسلام إلا ما أنشأ من حضارة في القرون
الوسطى ، حفظت تراث الانسانية من الضياع ، لكفاه فخراً
إلى الأبد .

اقترنت نشأة المدنية الإسلامية بخلافات داخلية فتحت
أبواب الانتحال أمام رجال ذلك الجيل ، فانغمز التاريخ
الاسلامي بعشرات الألوف من الروايات الكاذبة ، بل والمئات

المؤلفة من الأحاديث المختلفة على الرسول ، وكان لهذا الانتحال أسباب عديدة ، فكثيراً ما كان الدين يدفع رجاله لانتحال الروايات التاريخية والأحاديث النبوية لإثبات بعض وجهات النظر الديني .

يسوقنا إلى هذا ، النظر في الخلافات الدينية التي استعرت نارها خلال القرنين الأول والثاني للهجرة بين أنصار علي وأنصار معاوية ، وما عقب ذلك من نضال بين أهل السنة والشيعة والمعتزلة ، كما أن السياسة والخلافات التي قامت بين بني أمية وبين بني هاشم إلى صدر الدولة العباسية ، كان لها يد لا تنكر في الانتحال .

ونحن نرى هذا الانتحال قد اندفع إليه الكثيرون من جلة الرجال عن طريق غير شعوري كما تدلنا على ذلك حالات عديدة كما أن الجانب الأكبر كان مقصوداً انتحاله لغايات دينية ومآرب سياسية .

وهكذا غابت حقائق التاريخ الإسلامي وسيرة الرسول في طبقات الأفاضل التي ابتدعتها العقول خلال القرنين الأول والثاني للهجرة ، فظهر — من خلال ذلك — التاريخ الإسلامي وسيرة الرسول مختلطة مادتها بالأقاصيص اختلاط قليل من الحقائق

بكثير من الأوهام .

هذا ما يقوله صاحب رسالة « لماذا أنا ملحد ؟ » في موقف التحقيق والانصاف لصاحب الرسالة المحمدية . وقياساً على استنتاجه الصائب وعلى القرائن والتفاسير الحكيمة نقول : إن الردة في الاسلام ليست تعنى أن يبدل به دين آخر ، وإنما تعنى — إلى جانب التخلي عنه — الغدر به ومناوآته مما يدخل في باب الخيانة العظمى التي تعاقب عليها حتى الحكومات المعاصرة وأعظمها مدنية بالقتل ، وكم ارتكب أولئك المرتدون من جنائيات في محاربة الاسلام بعد أن وقفوا على نقاط الضعف عند المسلمين .

وقد صدق الامام الشيخ جاريش في قوله إن لبدء ظهور الاسلام من الأحكام ما ليس لغيره ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم علمنا كيف نتصرف في الحوادث عند حدود مقتضيات الأحوال . ولنا من سيرته السامية وأعماله الحكيمة آلاف من الأدلة والآيات ، ولكننا ابتلينا بالجمود وضعفنا عن إدراك أسرار سيرته ودينه الفطرى ووقفنا عند حدود الألفاظ وأخذنا نتقيد ببعض الروايات ولقد كان لنا من حكمة رسولنا الحكيم وعلمه الالهى ما يرشدنا إلى أيسر السبل وأقومها

لو كنا نعقل (١)

بناء على ما تقدم لا يعاقب الاسلام ولم يعاقب يوماً من تخلى عنه تبعاً لوحى وجدانه ، لأنه نادى من البداية بأنه لا إكراه في الدين ، وأنه لا تقبل صحة العقيدة ممن لا يؤمن بها . وقد كانت وما زالت الأحكام الاسلامية عرضة للتبديل المنطقي وفاقاً للمصلحة العامة التي تبدلها الظروف ، وهذا روح التشريع الراقى في كل عصر .

ولنأخذ مثلاً الدستور المصرى المعلن في التاسع عشر من ابريل ١٩٢٣ . وقد اشترك في وضعه جمهرة من أقطاب المسلمين بل كانت لهم الأغلبية الساحقة التي اعتبرت مواده متمشية كل التمشى مع مبادئ الاسلام تبعاً لمقتضيات العصر الحاضر . وإليك . طائفة من هذه المواد : —

المادة الثالثة — المصريون لدى القانون سواء ، وهم متساوون في التمتع بالحقوق المدنية والسياسية وفيما عليهم من الواجبات والتكاليف العامة ، لا تميز بينهم في ذلك بسبب الأصل أو اللغة أو الدين . الخ

(١) ٣٨ و ٣٩ — أمر القرآن في تحريم الفكر البشرى —

عبد العزيز جاويز ١٩٢٨ .

المادة الرابعة — الحرية الشخصية مكفولة .

المادة الثانية عشرة — حرية الاعتقاد مطلقة .

المادة الثالثة عشرة — تحمي الدولة حرية القيام بشعائر

الاديان والعقائد طبقاً للعادات المرعية في الديار المصرية ، على
ألا يخل ذلك بالنظام العام ولا ينافي الآداب .

المادة الرابعة عشرة — حرية الرأي مكفولة . ولكل إنسان

الإعراب عن فكره بالقول أو الكتابة أو التصوير أو بغير
ذلك في حدود القانون .

هـ — هذا هو حكم الاسلام في القرن العشرين ، وقد يتطور

بل لا بد أن يتطور إلى ما هو أبعد من ذلك في مقبل العصور .

فالمناقشات البيزنطية التي تجرى في عدد من المجلات والمكاتب

الجامدة حول الارتداد عن الاسلام حتى لتصل إلى المحاكم

الشرعية مطالبة بالفصل بين الزوج وزوجته بما لا يتفق وروح

الاسلام بتاتاً .

وقد ذهب الزمن الذي كان فيه الاسلام ضعيفاً وزواج

المسلمة بالكتابي أمراً غير مرغوب فيه نظراً لقلّة عدد المسلمين

وخشية سوء معاملة المسلمة ، ولكن الأحوال تبدلت الآن تبديلاً

تماماً وأصبحت المرأة سيدة نفسها القادرة على حماية حقوقها
حماية تامة ثم إن الزواج في الاسلام مدنى الطابع، وللرأة أن
تشرط في عقده ما تشاء من الشروط رعاية لصالح أسرتها وصالح
نفسها ، فالتدخل بينها وبين زوجها بعد ذلك باسم الشريعة أو
باسم أى اعتبار لا تدعو إليه الآداب والحقوق الصريحة إنما هو
افتئات على كرامتها .

وإنه لمحزن حقاً أن توجد أقطار اسلامية مختلفة — وإن
تكن قلة — تأخذ بدعاوى الفقهاء الجاهلين وتحمل السيف
والنطع جزاء من يترك الاسلام إلى دين آخر ، وهذا منتهى
العيب بحقوق الانسان المخالف لتعاليم الاسلام أتم المخالفة ،
والمصور له تصويراً وحشياً وهو دين البر والرحمة والحضارة
إن الاسلام الصحيح دين الاقتناع ، دين المنطق ، دين الحرية ،
دين الاخوة الانسانية والكرامة البشرية ، دين العالم — فى اعتبار
الاسلام ذاته — عاجلاً أم آجلاً ، فكل حركة أو خطوة تناهض
ذلك هى عدوة للاسلام ، لأنها تعمل على نقله من النور إلى
الظلام ومن الذروة إلى الحضيض . ولا ريب أن مسألة الارتداد
عن الاسلام بالمعنى المشوه الذى يلاك ويردد هى من تلك
الخزعبلات التى ينبغى القضاء عليها مذهباً وسيرة ونتيجة .

الاسلام والحضارة

يزعم بعض المنتقسين أنه ما دام الاسلام في أصله دين
تقشف فلا يمكن أن يكون دين حضارة؛ وهذا وهم بالغ يأباه
المنطق كما يأباه التاريخ .

ويزعم أمثالهم أنه ما دام الحجر على الحق أو إرهاب الأحرار
يجرى في هذا البلد الاسلامي أو ذاك تحت دافع المستريا السياسية
أو بمالة للجهلة من رجال الدين فعنى ذلك عداة الاسلام للحرية
وعداؤه للحضارة ، وهذا أيضاً منطق معكوس غريب .

إن التقشف الاسلامي ليس معناه العزوف عن طيبات الدنيا ،
وانما معناه اجتناب التهالك على الرفاهية وما يصحبه من تدهور
خلقي ، وبالفعل حينما تهالك المسلمون على الرفاهية تدهوروا أى
تدهور وضاع ملكهم وذهبت بندها بهم حضارة رائعة .

أما حرية الفكر والغيرة على الحق فمن صميم تعاليم الاسلام
منذ نشأته ، فلها أغفلت هذه أو تلك تدهور الملك الاسلامي ؛
ولذلك حق لنا أن نقول : —

إن الخيانة للأوطان أخطرها حجر على الحق أو إرهاب أحرار.

ما هو إذن موقف الإسلام من الحضارة ؟

إن موقف الإسلام من الحضارة هو موقف الأب البارنحو ابنته . أجل فالإسلام يعتبر الحضارة سليلته لأن دستور التقدم الانساني مدون بالقرآن العظيم ، وكل عامل يؤدي إلى رقي البشرية هو منه وإليه ، وكل ما ناقض هذا التقدم غريب عنه . وكثيراً ما نقرأ عن التوفيق بين الحضارة والإسلام ، وهذا التعبير — في الواقع — تعبير خاطيء ، إذ لا خلاف مطلقاً بين الإسلام والحضارة ، فالحضارة نتيجة من نتائج النظام الاسلامي والفلسفة الاسلامية العملية . والحضارة الاسلامية — أي المترعة في كنف الإسلام — حضارة شاملة عالمية ، لأن روح الإسلام عالمية ، فهي لا تعرف التعصب إطلاقاً ، اللهم إلا للخير العام ، وفي سبيل الخير العام تقبس من مدنيات شتى وتبناها وتشجعها وتصهر حسناتها جميعاً في بوتقة التسامي الاسلامي .

إن الإسلام ، الدين العالمي التقدمي ، لم يتخل ولن يتخل عن أي فكر صالح أو عمل نافع كيفما كان وأينما كان مصدره وعصره وأصحابه ، إذ يعد كل ذلك ثمرة تعاليمه ونتائج تبشيره ، وهكذا في

عصرنا الحاضر خاصة ، إذا تحدثنا عن أية نهضة أو حضارة
مفلحة محسنة ، تمثلنا فوراً الاسلام الكريم بتعاليمه النورانية التي
شعت شرقاً وغرباً وأخذت بيد الانسانية في مدارج الحياة
الشريفة .

فاذا زرنا المختبرات والمصانع والمتاجر والحقول وتأملنا
المخترعات ومظاهر المدنية الرفيعة ، فنحن في كنف الاسلام العملي .
وبعبارة وجيزة إن الاسلام تمتد جذوره وفروعه إلى جميع
نواحي الحياة الجديرة بأن تعز ، والكفيلة بسعادة الإنسانية .
والمدرسة الأمريكية الاسلامية — أي التي تمثل أرقى ما وصل إليه
التفكير الاسلامي في العالم الجديد ، إن لم نقل أرقى ما وصل إليه
التفكير الاسلامي إطلاقاً — لا تعرف شيئاً اسمه النوفيق بين
العلم والدين ، إذ أنها تعتبر العلم أداة للدين أو مظهراً له ، لأن
العلم يفصح عن عظمة الوجود ، وعن أزلية الله ، ولأن الدين سلوك
أدبي نقي ، والسلوك الذي يعارض العلم أو يناقضه ، لا يمكن أن
يعتبر سلوكاً أدبياً ، مذ أن الصالح العام يتمشى مع العلم وتطبيقه ،
وما يعارض الصالح العام هادم للنخلق القويم ، هادم للسلوك
الأدبي ، هادم للدين . والمدونة الأمريكية الاسلامية التي

شرحنا تعاليمها في معظم أحاديثنا قد خطت في تفسير الاسلام
خطوات واسعة جاوزت — كما هو طبيعي — تفاسير
جمال الدين ومحمد عبده وطنطاوى جوهرى وعبدالعزیز جاویش
وأضربهم من الأئمة المستنيرين . وهى لا تعتمد إلا على القرآن
الشريف وعلى القلة الضئيلة المحققة من الأحاديث النبوية الكريمة
ثم على الأصولية العلمية التى تساندها المعارف الجامعية الصحيحة
سواء أقام بتحقيقها وتلقينها مسلمون أم غير مسلمين .

هذا هو الاسلام كما يفهم ويفسر ويدشر به فى العالم الجديد
بين المعلمين ، وكما حاولنا تبيينه بأحاديثنا العربية والانجليزية
على السواء ، وعلى الأخص بالنسبة لتفاعله مع الحضارة الأمريكية
ومع الديمقراطية الأمريكية ، فاسترعت تلك الأحاديث —
وما زالت — أسماع الآلاف فى العالم الاسلامى بأسره ، حتى طولبنا
تكراراً بجمعها وطبعها لنشر فى جميع الاقطار الاسلامية علاوة
على ترجمتها ونشرها بلغات شتى ، وعلى الأخص باللغات الآسيوية
التي يعرفها ملايين المسلمين السنة قومية لهم . وما نذكر هذا إلا
فى مقام التدليل على التطور الصالح لأذهان المستنيرين خاصة
فى العالم الاسلامى ، وعلى أن الخدمة التى نقدمها خالصة لوجه الله

تلاقى تقديراً وفيراً لها وإقبالا عظيماً عليها، وعلى أن الحفاوة
بالتفكير الاسلامي في أمريكا لا تقل عن الحفاوة بالأدب
العربي فيها .

وبينما لا يزال كثيرون ممن يعيشون في العصور المظلمة
يجنحون في الأقطار المتخلفة إلى تفسير الاسلام بجهالات الكتب
الضارة الأثرية ، يجتهد معلمو الاسلام في أمريكا من طراز
الدكتور أبي علي خير الله في بيان عظمته على ضوء العلم
كما تتضمنه الكتب الجامعية المختلفة ودوائر المعارف
والموسوعات المنوعة الرفيعة القيمة، وهكذا يعدون الاسلام
فهماً هو الحضارة الصحيحة

فأئمة الاسلام في نظر المدرسة الأمريكية الاسلامية هم
الاخصائيون الثقات في المعارف الانسانية المنوعة في عصرنا
هذا ، وهم الذين يفقهون الاسلام أو يستعين بهم من يفقهونه على
تفسيره معتمدين أساسياً على القرآن الشريف وذاكرين دائماً
أن الحضارة كمظهر للرقى الانساني هي معرض للاسلام الحي .

أما إذا نظرنا عبر المحيط فاننا نجد العجب في الأقطار
الاسلامية المتخلفة وأشباه المتخلفة ، فالآراء والكتب القديمة التي

يقال بأنها مبنية على الاجتهاد - وهو اجتهاد القرون الوسطى -
أو على الاتباع - وهو اتباع أعمى - هي الفيصل الذي لا يرد ،
حتى أصبحت الفتاوى الغاشمة تنشر وتنشر يمنة ويسرة دون حساب ،
وبات الاسلام يحمل ظلماً أوزارها ، ويعد من أجلها ديناً همجياً
وهو برىء منها كل البراءة .

فهذا قاتل ولديه لا يجوز القصاص منه ، لأن الأب سبب
لأحياء الابن ووجوده ، فلا يجوز أن يكون الابن سبباً في إفناء
أبيه ، كأنما حكم القرآن الشريف لا قيمة له ، بله فلسفة الاجتماع
والتشريع والأخلاق التي تبين خطر ذلك الرأي السخيف ، وكأنما
من يفتون بمثل هذه السخافة لا يعرفون شيئاً عن البيولوجيا
وحقوق السكان الحي مستقلاً عن أبويه أو غير مستقل .

وهذه سنن ابن ماجه والبخارى بل وجميع كتب الحديث
والسنة طافحة بأحاديث وأخبار لا يمكن أن يقبل صحتها العقل ،
ولا يرضى نسبتها الى الرسول الكريم ، صاحب أعظم شريعة عقلية
انسانية ، فإن أغلبها يدعو إلى السخرية بالاسلام والمسلمين وبالنبي
الأعظم والعياذ بالله .

لنأخذ مثلاً (سنن ابن ماجه) ، ولنستمع إلى هذا العجب

المندسوب إلى الرسول صلوات الله عليه : —

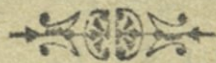
١ — الميت يعذب بما نوح عليه — (ص ٥٠٨)

٢ — إن الشمس تطلع بين قرني الشيطان فاذا ارتفعت
فارقها ، فاذا كانت في وسط السماء قارنها ، فاذا دلت فارقها ،
فاذا دنت للغروب قارنها ، فاذا غربت فارقها ، فلا تصلوا هذه
الساعات الثلاث - (ص ٣٩٧)

٣ - لما توفي القاسم ابن رسول الله (ص) قالت خديجة
« يا رسول الله ! درت لبينة القاسم ، فلو كان الله أبقاه حتى يستكمل
رضاعه ! » فقال رسول الله (ص) : « إن إتمام رضاعه في الجنة »
قالت : « لو أعلم ذلك يا رسول الله لهون على أمره ! » فقال
رسول الله (ص) : « إن شئت دعوت الله تعالى فاسمعك
صوته ! » قالت : « يا رسول الله ! بل أصدق الله ورسوله ! » —
(ص ٤٨٤) .

وما هي إلا أمثلة قليلة من كثير سخيف ينسب إلى صاحب
أعظم شريعة عقلية قصت على الخرافات والأباطيل في عصرها
ووضعت الأسس لتقدم البشرية المتواصل .

وإلى جانب هذا العيب نقرأ من الكتاب ذاته كيف أباح
الرسول (ص) التوضؤ بالنبيذ (ص ١٣٥) ، وهو أمر طبيعي
لأن الكحول منظف مطهر ولولا غلاؤه لكان أصلح من الماء
للتوضؤ به ، وقياساً على ذلك كان الصابون والماء مجتمعين خيراً
من الماء وحده للوضوء . ولكن من الناس كثيرين لا يفقهون
سر الأحكام الإسلامية في العبادات والمعاملات وغيرها ، ولا
يفهمون أن دينهم دين تقدمي بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى
ودلالة ، والنبي الكريم الذي تؤثر عنه أقوال ذهبية جمة في فضل
العلم والعلماء والحث على طلب العلم لا يمكن إلا أن يكون رسول
الثقافة والحضارة وعدو النرجس . قال صلى الله عليه وسلم : « إن
فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن
العلماء ورثة الأنبياء » (ص ٨١) وقال : « العالم والمتعلم شريكان
في الأجر ولا خير في سائر الناس » (ص ٨٣) وهكذا كان
الإسلام منذ نشأته دين العلم والحضارة .



الاسلام والغرب

موضوع هذا الحديث حضارة وأمة ، وإن كان محوره خطاباً
لقاه السيد ظفر الله خان في « المركز الاسلامي » بوشنطن عاشر
نوفمبر ١٩٥٤ ، ومن الخطباء من يمثل حقاً حضارة وأمة ، كما أن
من المعاهد - ولو لم يتم بناؤه - ما يشعر بذلك ، وهذا شأن
« المركز الاسلامي » بوشنطن . فشخصيات السيد ظفر الله خان
والسيد أمجد علي سفير الباكستان بوشنطن ورئيس تلك الحفلة
التي ألقى فيها الخطاب ، والدكتور محمود حب الله مدير المركز
الاسلامي ، أفعمتني شعوراً بعظمة الاسلام وباخلاص أعلامه
الناهين الرائدتين .

ولا يفوتني في هذه المناسبة التنويه بالمعية الدكتور حب الله
الذي يعمل ليل نهار ليشعر الأمريكيين بالمعاني الانسانية الرفيعة
التي يرفرف عليها الاسلام الصحيح الذي جاء به محمد بن عبد الله
وشرحه وطبقه خاصة عمر بن الخطاب وأبو ذر الغفاري، ولاقوا

في سبيله ما لا قوة من تقدير وعنت على السواء .

كان رئيس الحفلة السيد أجد علي ، فقدم الخطيب منوهاً
بمواهبه المتعددة كمحام ضليع ، وخطيب مصقع ، وقاضٍ حصيف
وسياسي محنك ، ودبلوماسي بارع ، وأديب إسلامي مستنير ،
وهو الآن يعود إلى منصة القضاء ، تاركاً وزارة الخارجية
الباكستانية ، بانتخابه قاضياً بمحكمة العدل الدولية . ورأيت في
المعرف والمعرف الباكستان الإسلامية المستنيرة الوثابة ، ورمز
الحضارة الإسلامية التي امتد رواقها شرقاً وغرباً ، مقتبسة من
مدنيات شتى ، ومطعمة لتلك المدنيات بحيويتها ورجاحتها ونبيلها
الذي لا يحد ، تلك الحضارة التي عبث بها وبفلسفتها كثيرون
من المنتسبين إليها ، وكثيرون من خصومها ، حتى لقيت أخيراً
من الزعماء السياسيين مثل جمال عبد الناصر ، ومن الزعماء الدينيين
في العالم الجديد مثل محمود حب الله وأبي علي خير الله —
من يعمل كدوداً لوجه الله في طرح الخزعبلات المملفة عنها
وإبرازها في صورتها الحققة الجديرة باحترام العالم ومحبته ، كيفما
تعددت عقائد شعوبه وحضاراته وثقافته المحلية .

وفي هذا السبيل يبذل « المركز الإسلامي » جهوداً تكاد

تكون منقطعة النظير إيقاظاً وتنويراً على الرغم من قلة
الوسائل نسبياً .

ونحن إذ ندلى بآراء المحاضر الجليل — الذي ترجع معرفتنا
بمواهبه وكفايته الفذة إلى أيام عملنا «بالأمم المتحدة» — يطيب لنا
التعليق عليها من باب التنوير وإتماماً للفائدة .

وقد استهل محاضراته بقوله إن موضوع «الاسلام والغرب»
لذو سعة جداً ، حتى بعد تحديده وقصره على أصول الاسلام التي يجب
أن يعرفها الغرب ، ليتمكن من الحكم الصحيح على الاسلام وأهله ؛
فكل ما في وسعه الادلاء به في هذه المناسبة إنما هو رؤوس
مسائل فحسب ، وردد على ما يطرح من أسئلة ، لأن الوقت لن
يسمح بأكثر من ذلك . ثم قال إنه لن يتناول الناحية السياسية
من الموضوع ، بل سيكتفي بالناحية الثقافية الانسانية .

وعنده أن من الواجب على الغرب أن يعرف ما هو الاسلام
الصحيح ، كما أن من الواجب على المسلمين أن يوسعوا معرفتهم
بالاسلام وأن يفهموه فهماً أفضل .

إن ازدياد سيطرة الانسان على قوى الطبيعة في تقدم مطرد
بخطوات واسعة ، ويصحبه ازدياد الخوف والقلق . فماذا لدى

الاسلام من حل لهذه المعضلة؟ بل ماذا لديه من حلول للمشاكل المختلفة المتصلة بالحياة الانسانية في جميع العصور؟ ثم ما هو الاسلام؟ وماذا يعنى؟ وإلام يرمز؟ إن الجهل بحقيقة الاسلام شائع في الغرب، ولكن تبديد هذا الجهل بدأ في الغرب منذ عهد قريب، ومع أن أمريكا آخرة الأقطار التي عنيت بهذا الأمر إلا أن اهتمامها الإيجابي بات أعظم من اهتمام سواها.

إن الاسلام لا يدعى أنه دين جديد، فإن القرآن يعد إبراهيم والرسول السابقين مسلمين وينعمتهم بهذا النعت، والإيمان بجميع الرسل من أسس الاسلام.

وثمة صفتان لله سبحانه وتعالى يتشبه بهما الاسلام.
أولاهما: رعايته المادية والروحية للعالم، وثانيتهما: رحمته.

ثم إن الاسلام يعنى في مدلوله الرئيسى أمرين:
إقرار السلام عن طريق الخضوع لإرادة الله أو سننه كما نعرفها في قوانين الطبيعة.

وأن الله خلق العوالم لغاية تبعاً لقوانين كيفها هي تلك القوانين الطبيعية التي يعد قبولها ايماناً، وعلى المسلم إذ يؤمن بهذه القوانين أن يكيف سلوكه تبعاً لها.

وأوضح السيد ظفر الله خان أن الإلهام الروحي — في
عرف الإسلام — يأتي من الله ، وأن الله يكشف عن جلاله
وليس الإنسان هو الذي يبحث عنه ، وأن الإيمان ينبغي أن
يشمل سلسلة القوانين الأدبية جميعها منذ القدم ، وأن القرآن
هو مجموعة الإلهامات الشفوية التي تلقاها النبي الكريم .

وتساءل السيد ظفر الله ما الذي يمثله القرآن ؟

ثم أجاب : إذا صح أن القرآن إلهام أو تنزيل منذ
ثلاثة عشر قرناً ، فحتم إذن أن ما فيه من وحى يبقى إلى الآن .
إن القرآن عالم بذاته ، وهدايته مستمرة متطورة وفاقاً لتطور
أوضاع الحياة الإنسانية . والوحى الإلهي في القرآن يشير إلى
تنزيل الذكر وحفظه . وهذا يعني : أولاً : حفظ النصوص القرآنية
وبقاءها ، وثانياً : حيوية اللغة ونقاءها : وثالثاً : استمرار الهداية
القرآنية في كل زمان ومكان . وقد أثبت الواقع كل ذلك ،
فما تزال نصوص القرآن هي هي ، وما تزال اللغة العربية في منزلتها
الشريفة ، بل إن عدد متكلميها أضعاف ما كان قبلاً ، وهي معدودة
ذات عبقرية تقدمية كفيلة بالنمو المطرد . وكل هذا يؤيد منزلة
القرآن ولغته ومنزلة النبوة الإسلامية عنه وعن رسالته .

وتساءل المحاضر : أیصرح القرآن بشيء عن سيطرة الانسان على الطبيعة؟ ویأتی بشواهد عدة من الآيات القرآنية كرد إيجاب كما یأتی بشواهد تحت الانسان على استعمال عقله فی فهم الكون وتدبر الامور، وكل هذا یثبت أن الله خلق العالم بأسره ، بل كل شيء لیكون فی خدمة الانسان . وقد حثه دائماً على البحث العلمی والتأمل ، وذكره بأن الكون لم یخلق عبثاً .

واهتم المحاضر بتوكید : ١ - أن الاسلام رسالة عالمية يتضمنها القرآن . ٢ - أن فكرة الله واحدة فی جميع الشرائع السماوية ، ولو أن الاسلام شغل خاصة بعالمية الدين ، وبرحمة رب العالمين ، وتكرار البيان عن ذلك، كما نرى فی : (بسم الله الرحمن الرحيم - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - قل یا أيها الناس انی رسول الله اليكم جميعاً) .

ونصح المسلمین بالمواظبة على دراسة القرآن ، كما نصح غیر المسلمین بالنأمل فیہ أحياناً ، نظراً إلى ما جمع من الأدب والحكمة ، فهو ذخيرة من الهداية والروحانية ، وهو فلسفة عملية توازن بین الواقع و بین العلم وتحمی الانسانية من الوقوع فی الهاوية . وقال إن الاسلام یترك سبیل الاختیار أمام الانسان وحيثما

وجد الاختيار توجد المسؤولية ، وإن الله قريب إلى المؤمنين
ولا حاجة بهم إلى وساطة لديه — « وإذا سألك عبادي عني
فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني ، فليستجيبوا لي
وليؤمنوا بي » . والله في غنى دائماً ، أما الانسانية فهي المحتاجة
والانسان هو الخاسر إذا لم يسلك السبيل القويم إذ تلك سنة الله
« إن الانسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ،

أما عن ترجمات القرآن من أقلام الغربيين فقد أوصى السيد
ظفر الله خان بالاطلاع أولاً على المختارات التي نشرتها شركة
(ماكيلان) من قلم الأستاذ (أربري) ، ثم على الترجمة التي قام
بها (مارماديوك بكتول) وظهرت طبعتها الأمريكية حديثاً بثمن
زهيد ، وبعد ذلك يمكن الاطلاع على الترجمات ذات الشروح
الضافية من أقلام علماء المسلمين الأصيّلين وعلى رأسهم محمد علي
ويوسف علي .

ومن باب التعليق الأدبي والديني معاً نود أن نقول عن
اختلاف التعابير والصيغ في القرآن الشريف إن مرجعها هو نوع

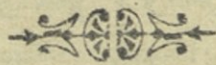
الالهام وكيف تلقاه الرسول فعبّر عنه بتلك اللغة القدسية . إن
إخلاص الرسول أمر لا ريب فيه ، وهذا يشمل احساسه بتلقى
الوحي عن طريق الملاك ، وأما لماذا يكون التعبير أحياناً بصيغة
المتكلم أو بصيغة المخاطب أو بصيغة الغائب فرده إلى الظروف
وماهية التبليغ والحالة النفسية أو العصبية عند الشعور بتلقى
الوحي ، وهو على أي حال بيان إلهي لا عوج فيه ، بل فيه مادة
لا تحد لتأمل السيكولوجيين وأهل الأدب والعلم عامة .
وثمة مسألة أخرى مهمة لا نرى بأساً من تكرار التنبيه إليها
لتنوير الغربيين خاصة . فلو وجدت حكومة عالمية لجاز حينئذ
أن يكون للمرء جنسيتان : جنسيته العالمية و جنسيته المحلية .
وكذلك الحال بالنسبة للإسلام الذي يعترف بجميع الأديان
السماوية السابقة - فان عالميته تسوغ للمرء أن تكون له عقيدتان
لا تنافر بينهما : ديانته الخاصة وشريعة الإسلام .
إن الغرب محتاج إلى الشرق احتياج الشرق إلى الغرب ،
فالعالم في تقدمه وحادثة لا تتجزأ ، والإسلام في أصله كالمسيحية
تراث شرقي عظيم يمتد برواقه إلى جميع الجهات فليس بإمكان
الغرب أن يتجاهله وهو الذي يعتبر الغرب - بكل ما يرمز إليه -

أحد أبنائه وتراثه من تراثه وصوالحه من صوالحه التي تشمل
الانسانية جمعاء .

ومسألة أخرى جديرة بالنظر اللغوي هي التعبير بصيغة المفرد
المذكر عن القوى الإلهية أو الألوهة ، وهذه مسألة تقليدية صرفة
من ناحية التذكير ، أما من ناحية المفرد فهي رمز إلى الوجدانية
أو الشمول . وهذا الشمول تنطوي تحته عوامل شتى وصفات
شتى . فحينما نتحدث عن الخالق سبحانه وتعالى نعني جميع العوامل
المتفرعة عن الوجدانية العظمى التي نحسها بالوعي واللاوعي على
السواء ، أو بصميم وجداننا ، دون أن نفهمها تماماً ، لأنها فوق
منتهى ادراكنا .

وغاية إحساسنا بالله هي اندماجنا الروحي في عوامله كما يندمج
الشاعر أو المغنى أو الفنان في موضوع قصيده أو نشيده أو فنه فيصبح
الشعر والشاعر ، واللحن والمغنى ، والفن والفنان شيئاً واحداً .
أما عن عبقرية اللغة العربية التي نزل بها القرآن الشريف فقد
أجمع العارفون الفيولولوجيون على أنها لم تبز ، وأنها كانت جديرة
إذن بهذا التنزيل ، وقد أثبتت القرون المتوالية رفعة منزلتها
وصلاحتها التامة لأداء الرسالة الانسانية التي عهد بها اليها .

وإن الناقد المستقل ليقف مشدوهاً أمام العظمة الفكرية التي
تجلى بها الإسلام على لسان نبي أمي ، إذ لم يسبقه دين من الأديان
دعا إلى تقديس العقل والاستنارة به كما دعا الإسلام ، وفي
ظروف أقل ما يقال فيها إنها كانت متشعبة بالجهل والفوضى
والقسوة ، وبقى الإسلام نصيراً للعقل وآثاره ، وإن يتخلى عنه
وعنها إلا إذا تخلى عن ذاتيته ، وهكذا عد نفسه غير غريب عن
الحضارة الغربية ، بل عدها ثمرة تعاليمه وجهوده المباشرة وغير
المباشرة مدى العصور ، وهكذا وجب على الغرب أن يقف ويتأمل
هذا المعلم الذي يطالبه بحقوق الأبوة من مودة وتعاون وفهم
صحيح !



روح الاسلام

كان النبي محمد صلوات الله عليه خاتمة الرسل ، وجاء القرآن الشريف خاتمة الكتب السماوية ، وصرح الرسول الكريم بأن العلماء ورثة الانبياء . وعلى هذه الاعتبارات مجتمعة وضع مبدأ التطور في الإسلام وفاقاً لكل زمان ومكان . فإذا نزعنا عن الإسلام هذا المبدأ الذي فهمه وطبقه الخليفة عمر بن الخطاب بصفة خاصة ، وجاراه في ذلك بعض التابعين والحاكمين من أعلام الإسلام ، نزعنا عنه مميزات كبرى ورددناه إلى مستوى الأديان البدائية من ناحية المعاملات على الأقل .

هذه الحقيقة العظمى التي لا يفهمها الجامدون هي من لب اللباب . وعدم إدراكها معناه عدم إدراك روح الإسلام . وقد رأينا تاريخ الشريعة يدلنا في غير غموض على أن جمهرة التقدميين في الماضي كانوا أنفسهم يخشون جمود العمامة ، فطبقوا القياس تطبيقاً محدوداً جداً لم ينصفوا به الإسلام ولا أنفسهم ولا أهل

زمانهم الإنصاف الواجب .

نحن الآن قد تجاوزنا منتصف القرن العشرين ، وقد تلقينا
عن شيوخنا المسلمين أن الضرورات تبيح المحظورات ، وأن
الصالح العام هو مصدر الإرشاد للتشريع والسلوك ، فهل يجوز
أن نبيح للرجل في هذا العصر ضرب المرأة ؟ وهل إذا حرمتنا
ذلك عليه نكون قد خالفنا حكم الله تعالى في قوله العزيز :
« واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع
واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ؟

بداهة لا ! وإلى أن يفهم الغافلون المتحجرون أن من أعظم
مزايا القرآن الشريف إعطاء المثل في الحكم أو المعاملة ، وأن كل
هذا عرضة للتعديل والتبديل في حدود الاسلام الأدبية تبعاً
للمصلحة العامة — إلى أن يفهموا هذا جيداً فإنهم بعيدون كل
البعد عن روح الاسلام التي تنادى دائماً بالتطور والتقدم ،
والمدهش أن هؤلاء السادة لا يفهمون من تلك الآية الكريمة
إلا تسويغ ضرب النساء في زمن قريب من وأد البنات وقسوة
معاملة النساء ، ولا يفهمون منها ولا من غيرها من الآيات الهادية
التبغيض في الطلاق والدعوة إلى الرفق بهن وتحاشي غيبنهن . قال

تعالى : « وعاشروهم بالمعروف ، فإن كرهتموهن فعسى أن
تكوهن شيئاً ويجعل الله فيهن خيراً كثيراً » . وقال جل شأنه :
« .. وآتيتن إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً . أتأخذونه
بهتاناً وإثماً مبيناً ؟ » .

هذا ما نادى به الإسلام وهو بحيرة الوحشية والقسوة
الإجرامية نحو المرأة ليدفع عنها الحيف بقدر المستطاع في
ذلك الزمن .

أفتنقلب الآية إذن وتصبح محاولة الإسلام حمايتها من الغبن
والاذى تكأة لاهانتها واستعبادها ؟ تعالى الله عما يزعمون !

قال صاحب الأغاني (١) : « وقد قيس بن عاصم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله بعض الأنصار عما يتحدث به عنه
من الموهودات التي وأدهن من بناته فأخبر أنه ما ولدت له بنت
قط إلا وأدها ، ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثه
فقال له : كنت أخاف سوء الأحداث والفضيحة في البنات فما
ولدت لي بنت قط إلا وأدها ، وما رحمت ممنهن موهودة قط إلا

(١) الطبعة الأولى (بولاق) ، ج ١٢ ، ص ١٤٩ :

بنية لي ولدتها أمها وأنا في سفر ، فدفعتها أمها إلى أخوالها ،
 فكانت فيهم ، وقدمت فسألت عن الحمل فأخبرتني المرأة أنها
 ولدت ولداً ميتاً . ومضت على ذلك سنون حتى كبرت الصبية
 ويفعت ، فزارت أمها ذات يوم ، فدخلت فرأيتها قد ضفرت
 شعرها وجعلت في قرونها شيئاً من خلوق (١) ونظمت عليها
 ودعاً وألبستها قلادة جزع (٢) وجعلت في عنقها مخنقة بلح (٣)
 فقالت : من هذه الصبية ، فقد أعجبنى جمالها وكيسها ؟ فبكت ،
 ثم قالت : هذه ابنتك ! كنت أخبرتك أني ولدت ولداً ميتاً ،
 وجعلتها عند أخوالها حتى بلغت هذا المبلغ ! فأمسكت عنها حتى
 اشتغلت عنها . ثم أخرجتها يوماً فحفرت لها حفيرة فجعلتها فيها
 وهي تقول : يا أبت ! ماذا تصنع بي ؟ ! وجعلت أقذف عليها
 التراب وهي تقول : أمغطي أنت بالتراب ؟ أتاركي أنت وحدى
 ومنصرف عني ؟ ! وجعلت أقذف عليها التراب ذلك حتى وارتها
 وانقطع صوتها ! فما رحمت أحداً ممن وارتها غيرها فدمعت عينا
 النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : إن هذه لقسوة ، وإن من

(١) الخلوق (بفتح الخاء) ضرب من الطيب أعظم أجزاء الزعفران
 (٢) خرز فيه سواد وبياض . (٣) المخنقة : القلادة

لا یرحم لا یرحم اء

هذه القسوة الاثيمة العائية ارتكبها من وصف بأنه « سيد
أهل الوبر » ، فما بالك بعامّة العرب ؟ وما جاء الاسلام ليستبقى
شيئاً منها بل ليقضى عليها فوراً أو تدريجياً حسب الظروف كما
صنع بمنع تعدد الزوجات وتثبيط الطلاق ، فإذا بكل هذا يفسر
عكسياً تبعاً لاهواء الفقهاء ، وإذا بالأوضاع تقلب ، وإذا بروح
الاسلام الحقّة تنسى أو تشوه اء

وفي القرآن الشريف تعاليم لإنصاف المرأة وكرامتها تعتبر
آية في السماحة بل ثورة فكرية عظيمة في وقتها ، فالقياس عليها
يجب أن يكون نسبياً اعتباراً لزماننا ، لا تقيداً بحرفيتها التي كانت
ملائمة لقرون خلت فحسب ، وذكرت على سبيل المثال ، وكانت
حكمتها معلقة بمناسباتها لا مستقلة عنها .

على ضوء الصالح العام وعلى ضوء الظروف الحاضرة اختارت
دولة (الباكستان) المسلمة العريقة البيجوم ليافت على خان
سفيرة لها ، واختار برلمان (جزائر المولديف) الاسلامية سيّدة
لتكون رئيسة ، ولو دعا الصالح العام لما حيل بين المرأة ذات
الكفاءة الممتازة ورئاسة الدولة ، ويومها آت لا ريب فيه .

لأن الإنسانية بلغت عهد تكافؤ الفرص ، عهد الحرية والمساواة
والأخوة الإنسانية ، فكيف بالاسلام وقد بشر بكل ذلك منذ
أكثر من ثلاثة عشر قرناً ؟

إن روح الاسلام التي تقر مبدأ الصالح العام بل تقده بل
تسمح في هذا العصر بأن تكون المرأة قواماً على الرجل بقدر
ما تسمح بأن يكون الرجل قواماً على المرأة ، إذ أن مرد ذلك
إلى الاعتبار الاقتصادي لا أكثر ولا أقل ، بخلاف ما كان عليه
الحال في فجر الاسلام . وهانحن في الأقطار الاسلامية الراقية
نجد الزوج والزوجة يتضافران على الكسب للعائلة ويقسمان
النفقات ، كما قد يمرض طويلاً سيد الأسرة فتصبح سيدتها
— بكدها وكسبها — هي القوام عليها وربما كان ذلك طول
الباقى من حياته .

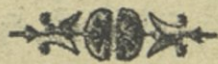
لقد آن الأوان لأن يفهم كل من يتغنى بإعزاز الاسلام ،
سواء أكان من أهله أم من أصدقائه ، بأن الاسلام لا شيء في
المبنى والمعنى إذا ما تجرد عن روحه المستمدة من التجربة والصالح
العام ، والقابلة دائماً للتطور الذي لا ينتهى ، وهذه لا غيرها
فلسفته الحقبة الخالدة .

وأما التفتي بأبي داود والترمذي والنسائي ومسلم ، وترديد الأحاديث الملفقة التي لا تنسجم وتعاليم القرآن ، وأما سوء تفسير آيات الكتاب العزيز ، وأما الجهل بروح القرآن التي تشع من وراء هذه الآيات ، وأما التنازل عن صلاحية الاسلام لكل زمان ومكان فبمثابة الخيانة لرسالة الاسلام الخالدة .

إن جميع الكتابيين قديماً وحديثاً هم في عرف الاسلام بمثابة مجنديه ، ورسالته غير محصورة في قطر أو في جيل ، فكل قول أو عمل يحصر الاسلام في بيئة معينة بدل إفساح الآفاق والأزمان له هو طعنة للاسلام من الخلف .

وهل بنا من حاجة لأن نقول لأي مسلم مستنير واع إن الحضارة العلمية التي تنسب بها مدنية القرن العشرين هي وليدة تعاليم الاسلام ، هي منه وإليه ، ولا يمكنه أن ينكر أبوتها ولا أن يسمح لأحد كائناً من كان ، بانكارها ؟ وهل بنا من حاجة لأن نؤكد أن أية عيوب خلقية أو أدبية تنسب إلى تلك الحضارة زوراً إنما هي من الأمراض التي لا مفر منها والتي تتبرأ منها مبادئ تلك الحضارة تبرؤ الاسلام ذاته منها ؟ وهل بنا من حاجة لأن نردد أن من يفرقون بين الشرق والغرب إنما يعبثون

بالحقائق التاريخية عبثهم برسالة الاسلام ؟
 إن الاسلام قام في نشأته على دعائم المنطق والعلم ، وبهما
 بلغ ذروة عزته ، ولن تعود له مكانته السابقة إلا بهما ، ولا
 رسالة له ولا روح من دونهما ، وهو في عالميته لا يعرف شرقاً
 ولا غرباً ، وإنما يعرف الانسانية جمعاء ، ويقول للمدنية العلمية
 الحديثة : لولاي يا بفتي لما كنت ، فأنا موجود عصر « النهضة »
 وأنا حامى رجال الفكر والعلم ، وإذن فعلماءك هم علماني ، وهم
 جد أهل لتفسير مبادئ وتفسير « كتابي » المنزل . هذه هي
 روحي ، ومن عارضها فلا حق له في الانتساب الى ، فإلى شأن
 بالظلام ، ولا بالقرون المظلمة ، ولا بالعقول الضيقة التي لا تفهم
 أن أئمة هذا العصر هم أوسع ثقافة وأحصف رأياً وأبعد نظراً
 وأجل إنسانية من الأئمة القدامى الذين صاروا في ذمة التاريخ
 البعيد ، وصارت معظم تواليهم في حكم الأثرية فحسب .
 روح الاسلام إذن هي روح التجدد المستمر المبني
 على التجربة العلمية لسعادة البشر أينما كانوا وفاقاً لتعاليمه الأدبية
 الخالدة وتجاوباً مع الصالح العام .



هل الخالق مسئول عن الخلق ؟

يامن أثبت إليه كل وجميعي وأراه أوفى من يكون رحيماً
من كان لا ينسى لديك بصحة حاشاك أن ينسى لديك سقيمياً
وأنا الفتى الجاني ليسألك الرضى حباً ، ويأبى أن يعد أثمياً
عرف الصلاح بنفسه من نفسه فرأى بها التحليل والتحريراً

بماذا تشعر هذه الأبيات التي قالها صاحبها الشاعر المسلم
منذ أربعين عاماً أو تزيد؟ إنها تعبر بصراحة عن هذه العقيدة
وهي أن الانسان مخير إلى مدى بعيد ، وعليه أن يعرف الصلاح
بنفسه من نفسه فيتبين الحلال من الحرام ، ويتبع الأول
لاخوفاً من عقاب ولا طمعاً في ثواب ، ولكن لأنه الحق
ولأنه الخير ولأنه الجمال ، ولأن الكرامة والسعادة في اتباعه
ولأن رقى الانسانية مرتبط به ، ومع ذلك فالانسان أيضاً مسير
لأنه نقطة أو قطرة في بحر الألوهة العظيم ، والجازبية بينه
وبين هذا الخضم الهائل دائمة ، والبحر مسئول عنها في حدود

القوانين الازلية التي صممت الكون وتكيف بها .
والإبتهاال إلى الله هو تشويق هذه القطرة إلى المحيط .
إنه تجاوز ومحبة وإيمان عميق ، ولا يمكن أن يضيع هذا الإبتهاال
إذا كانت القطرة غير متنافرة مع المحيط ، راضخة للقوانين
الازلية التي لا يعتبر الرضوخ لها عبودية بل نظاماً ، والنظام
من صميم الوجود .

بهذا المعنى العام كان مهندس الكون الأعظم مسئولاً عنه ،
كان المحيط مسئولاً عن القطرة ، وكان الخالق سبحانه مسئولاً
عن الخلق .

إن من العبث مثلاً أن يرتكب الإنسان الجرائم ويخالف
سنة الطبيعة ثم يحمل الله — جل شأنه — مسئولية ما له وعقبي
أعماله ، فقد وهب العقل المرشد ووهب حرية التصرف ووهب
النصيحة الربانية بواسطة الرسل ثم بواسطة العلماء خلفاء الأنبياء
ولا ضابط له سوى النظام الكوني الذي يخضع الوجود بأسره
له ، لأن النظام رابط السلامة وسلم النجاح ، فمن الوهم بعد ذلك
بل من الضلال ، أن يتصور أن جرائمه تَمْضِي بلا عقاب ، وأنه
لا حسيب عليه ، بدعوى أن الخالق — لو أراد — لمنعه من

صنع ما صنع ، لأنه مسئول عن الوجود .

هذه مغالطة ما بعدها مغالطة إذ لو سير الانسان بدل أن
يخير لضاعت مع حريره شخصيته ، وانتفت الدوافع لرقبيه
واعترازه .

هذا إلى أن الحكمة الكبرى من هذا الوجود أو فلسفته ما
تزال فوق إدراك البشر في مرحلة تطورهم الحاضرة .
وإذا كانت الرحمة من أجل صفات الله ، فمع ذلك لنا أن
نستشهد بقول أبي العتاهية :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها

إن السفينة لا تجرى على اليبس !

والإبتهاال أو الصلاة نهج لتقوية معنوية المؤمن ، ونهج
للاندماج الصوفي في محيط الألوهية ، فهي تاج العمل الصالح إذا
ما وجد ، وبغيره لا تكون للصلاة أو للإبتهاال قيمة إلا إذا
كانت أو كان اعلاناً عن توبة يصاحبها أو يعقبها العمل الصالح

إن التأميل في رحمة الله — كالتأميل في عونته — صواب ،
والله لا يحابي ، وإنما يكافي . ويجازى وفقاً لسنة الخالدة .

وكلنا أبناء الله لا ريب ، وما دنا محسنين عاملين فالله لا يغفل
جزاءنا ، وقد تتجلى آياته لهدايتنا ، وإذ أوجدنا فهو مسئول
عنا بالمعنى العام الذى المعنا إليه ، ونشدان الهداية أو الخير
من الله مع العمل لاستئصال ذلك فضيلة يدعو إليها الاسلام .
أما الاتكال الاعمى المقرون بسوء التصرف فلا عاقبة خير له ،
والانسان مسئول عن نتيجته .

جاء فى الحديث الشريف : « تخيروا لنطفكم ، فان العرق
دساس » ، ولو أعار المسلمون هذا النصيحة الحكيمة التفاتهم
لما عانوا من سوء التناسل شيئاً ، وأغفاهم أو إغفال كثيرين
إياها كانت نتيجته الإساءة إلى نسلهم وما جره ذلك من عواقب
سيئة هم المسئولون عنها ، لا الله سبحانه وتعالى ، لانهم هم الذين
لم يحترموا فاموس التناسل .

أما عن حرية الارادة الانسانية ونتائجها المنطقية فحسبنا
هذه الآية الكريمة : « قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ،
فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ،
وما أنا عليكم بوكيل » ،

وأما عن حسن الثواب من الله والناس فدليلة هذه الآية

الكرامة : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »
ومثلها قوله تعالى : « إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة
يضاعفها » . وإذا كان جل شأنه قد خلق كل شيء بقدر ، فالإنسان
مسهم في ذلك القدر ، مسئوليته تعظم بقدر ذكائه وتفكيره .

هذه هي نظرة الاسلام الصحيحة ، يساندها العلم والتفكير
الأدبي المستقيم ، والتواكل بحجة أن الخالق مسئول عن الخلق يفر
منه الاسلام أشد النفور . قال تعالى : « وما يستوى الأعمى
والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء » ، وعكس
التواكل — إذا شد واتخذ صورة الجبروت — بغض أيضاً
للالسلام . قال تعالى : « ولقد أهلكتنا القرون من قبلكم لما ظلموا
وجاءتهم رسالهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا . كذلك نجزي القوم
المجرمين » . وهذا هو نهج الطبيعة في إصلاح الإنسانية إذا
عجزت عن إصلاح نفسها .

منذ نيف وثلاثة عشر قرناً جاء محمد بن عبدالله برسالة
فريدة وإن عدت تكلمة للأديان السماوية السابقة — وهي رسالة
ذات شقين : أحدهما الإيمان برعاية الله وفضله ، والآخر إيمان
الإنسان بنفسه ليستحق تلك الرعاية وذلك الفضل . وهذا الإيمان

يشمل إيجاد التآخي وتوطيد السلام بين البشر. وهذا وذلك
يترتبان على قانون أدبي تشبعت به صحائف القرآن
الشريف، ومحوره كلمة واحدة هي «الحق»، أو «العدل». .
ويبشر ذلك القانون الأدبي بأن صائني الحق ورافعي العدل
هم المفلحون عاجلا أو آجلا، والله مسئول عن خيرهم
خاصة، وابتهاهم لله مزيج من التدين والنصوف والفلسفة
والشعر، وهم خليقون به لأنه اندماج الجزء الصالح في الكل
الأصلح، وهو ابتهال لن يخيب، وخلفه إيمان بمسئولية الخالق
عن الخلق.

وقد يقول غير المؤمنين إن هذا وهم في وهم، كما قد يسخر
المتشككون أو يتحدثون حديث الحيرة كما صنع المعري والحيام
وقد يزعم الملحدون أن الكون مجرد صدفة، فلا خالق
ولا مخلوق، وما علينا إلا أن نكون واقعيين فنعرف الكون
بخصائصه ولا نتمادى في التفلسف باحثين بحث المتخيل الحالم عما
خلف هذا الكون من ألوهة مزعومة. ولكننا بوجداننا —
حتى في هذا العصر العلي، بل بفضل هذا العصر العلي — نرى
أن الكون ليس مجرد صدفة مبهمة، ونشعر ونؤمن بأن للنظام

الكوني هدفاً سامياً من الخير والجمال ، وأن الآلوهة — أو القوى
السامية المبدعة لكل هذا والمسيرة له — هي أصلنا وملاذنا في كل
وقت ، مهما حبتنا من حرية في تكيف أنفسنا ونسلنا وتقرير مصيرنا .
نعم ، إننا نشعر ونؤمن بأننا من تفحات الآلوهة ، وما دمتنا
لا نشور على ناموسها الأزلي فنحن منها وإليها ولا غنى عن عونها ،
وابتهالنا إليه قوة يحسها الطفل المتعلق بأبيه المؤمل فيه .

والخلاصة : أن الاسلام حينما يبشر بحربة الانسان
في تقرير مصيره ومصير نسله يبشر أيضاً بمسئولية الخالق عن خيره
وسعادته بالمعنى الأعم ، أى للجنس البشرى تاج الخليفة المتطور
نحو الكمال ، ويبشر بمسئولية الخالق نحو الأفراد الخيرين وغير
الخيرين على السواء عن طريق ناموسه الحكيم فيتال الخير الخير
وينال سواه ما يستحق من جزاء جلبه على نفسه بنفسه وهو كامل
الاختيار . ولو ذهب عامل الاختيار لانحطت منزلة الإنسانية
ولخسرت أضعاف ما تكسب ، ولفسد قانون بقاء الأصلح ،
واضاعت الحكمة الربانية التي جعلت للانسان منزلة خاصة في
هذا الوجود لغايات جلييلة نحس بعضها ولا نفقه - في مستوى
التطور الذي بلغناه - جانبها الأعظم .

الحقيقة ضالة المؤمن

في ٢٣ نوفمبر ١٩٥٤ أقيمت محاضرتان عن الاسلام إحداهما في نيويورك والأخرى في واشنطن، الأولى تحت رعاية مجلس الشؤون الإسلامية، وكان المحاضر الدكتور محمود يوسف الشواربي الأستاذ بجامعة القاهرة والأستاذ الزائر بجامعة نوردهام، وعنوانها « جذور الثورة المصرية -

the Roots of the Egyptian Revolution »

والثانية برعاية « المركز الإسلامي »، والمحاضر الدكتور فريد زين الدين سفير سورية بوشنطن، وعنوانها « الإسلام وهو يعمل Islam in action » - وعلى الرغم من اختلاف العنوانين فقد اتفقتا في الصبغة الإسلامية، وفي أن إلقاءهما كان بلغة انجليزية فصيحة. وكان من حظنا الاستمتاع بمحاضرة الدكتور الشواربي والتعقيب عليها، ثم الاستماع إلى شريط مسجل لمحاضرة الدكتور فريد زين الدين.

وأول ما أحسننا به من السرور أن يتولى المحاضرة مسلمان
مخلصان، وأن نجمع في آن بين ممثلين لمدرستين تقدميتين .

١ - المدرسة الشرقية الإسلامية التي تركزت في الأصولية
العلية في الربع الثاني من هذا القرن خاصة وبرزت تعاليمها من
(ندوة الثقافة بالقاهرة) بعد أن مهد لها جمال الدين الأفغاني
ومحمد عبده وطنظاى جوهرى وعبد العزيز جاويش .

٢ - المدرسة الغربية الإسلامية التي احتضنت تعاليم الأولى
وتوسعت فيها تبعاً لسنة التطور، وبرزت تعاليمها في العقد الأخير
ومن أقطابها الدكتور أبو على خير الله والدكتور فريد زين الدين .
وتتمثل صفوة تعاليم الأولى في كتاب « عظمة الاسلام »
للأستاذ رضوان إبراهيم الذى أصدره بالقاهرة، وتتمثل صفوة
تعاليم الثانية في الدراسات الإسلامية المتعددة التي أذعنناها منذ
سنوات على (صوت أمريكا) وتناقلتها صحف ومجلات من
بينها « نهضة العرب »، كبرى الصحف الإسلامية في العالم الجديد .

ولسنا هنا بصدد الكلام على نقاط المحاضرتين، ولكننا
في موقف التوكيد لمسائل خاصة بالمحاضرتين والتعليق عليهما .
أحسن الدكتور الشواربى تبيانه أن جذور الثورة المصرية

بعيدة في أصولها التاريخية وليست بنت العهد الحاضر، كما أحسن
بتنويهه بإسهام مصر في نقل الحضارة من الشرق إلى الغرب إبان
القرون الوسطى، وقد أسهم في التنوير الانساني حينئذ علماء الاسلام
والمسيحية على السواء مذ كانت مصر حصناً لكليهما . وأحسن
الدكتور الشواربي بتنويهه بسماحة الاسلام، وأنه ليس في موقف
المنافس للنصرانية بل المتعاون معها لخير الانسانية، فالمسلم لن
يكون مسلماً حقاً قبل أن يكون مسيحياً حقاً، ومبادئ الثورة
الامريكية أو الثورة الفرنسية جاء بها الاسلام من قبل وتشبث
بها عملاً، وإنه لعظيم التسامح مع الاقليات، وليس المقصود بالجامعة
الاسلامية مناوأة المسيحية بل الأزر معها لخير الناس .

وعندنا أن الشعب المصري بفطرته شديد الميل إلى الحرية ،
يحتقر الظالمين ، وهذا واضح من تاريخه القديم ، والفترات التي
اكتسح فيها الغزاة مصر ليست مديدة بالنسبة إلى تاريخها الذي
يحسب بعشرات القرون في حين يحسب تاريخ أمريكا بعشرات
السنين على حد تعبير الدكتور الشواربي .

وقد أشرنا في مناسبة سابقة إلى ما رواه هيرودتس
في زيارته مصر وتعيجه على الأهرام وسؤاله الناس عن بناها،

فكان جواب بعضهم — تفادياً لذكر خوفه وغيره من الجبابرة
— أن الباني لها هو « فلان » ، الراعي ، بجمع هذا الجواب بين
الامتعاض والسخرية !

وقد اشتهر المصريون بسخريتهم من الظالمين ، كما فعلوا
ببطلليموس — والد كليوباترة — الذي لقبوه « بالزمار » ، ولم
استماتوا في الدفاع عن حريرتهم في موقعة رشيد وموقعة كفر الدوار ،
وقديماً كاد يوليوس قيصر تصليبه الهزيمة على أيديهم في معركة
بالاسكندرية ، ولم ينبج من الدمار إلا بأعجوبة .

وقد جنت الأمراض المستوطنة على المصريين أكثر مما
جنت جحافل الغزاة ، كالانكلستوما والباهارسيا .

ومذ كان الإسلام ولا يزال ديناً تطورياً ونهجاً تقديمياً
للحياة ، رائده الصالح العام فقد بلغنا الآن عهداً لا نتحدث فيه عن
الأكثرية والأقليات ، بل يجب أن تضم الدولة الإسلامية
جميع الطوائف تحت جناحها دون قيد ولا شرط ، والمقصود
بالدولة الإسلامية تلك التي تجعل ناموسها الأعلى تعاليم الإسلام
الأدبية التي لا يجوز أن يشذ التشريع عنها ، والنص في الدستور
على أن دين الدولة هو الإسلام لا معنى له ولا موجب ، فالدولة

بمجموع الافراد وبكل الطوائف لا بأغليديتهم ، ومن الكفاية
أن يذكر في الدستور أن التشريع يجب ألا يخالف مبادئ
الاسلام الأدبية .

هذا ما تقضى به طبيعة الاسلام العالمية الدائمة التطور والرقى
ومذ كان الإسلام عقيدة إيجابية بانية ، فجميع الحركات الهدامة
عدوة له ، وكل ما ينطوى على الغدر والقتل والاضرار بالصالح
العام مخالف للإسلام مخالفة تامة ولو تمسح به من يزعمون أنهم
من خيار المسلمين ، ويطيب لهم نشر التعصب الأعمى والترويج
للقتل وارتكاب الجرائم ومحاربة الثقافة الحرة والعلم الصحيح
والحضارة الرفيعة .

لم يفت الدكتور فريد زين الدين في خطابه الجامع أن يلم
بسيرة الرسول الكريم وبنواحي عبقريته الحقة ، وقد جمع في
هذه المحاضرة مسائل من اللباب الذي يوضح جلال الاسلام
فجاءت محاضراته زبدة ثمينة لتعاليم الاسلام وصورة حقة لفلسفته .
ومع أننا في أحاديثنا المتعددة تقدمنا بالآراء التي رددناها
إلا أننا نعتبر هذه المحاضرة بما لا يستغنى عنه كتتمهيد بليغ
سريع عن الاسلام لتنوير غير عارفيه ولتذكير عارفيه .

ومن أهم ما عني بتقريره أن الاسلام لا يعرف شعاراً له
أعظم من الحق ؛ وأن الحقيقة ضالة المؤمن ، وأن الشريعة
الاسلامية قائمة على العقل والعلم ولا يمكن أن تخالفهما أو يخالفهما
وأن الاسلام ليس ديناً بالمعنى الضيق ، بل هو نهج للحياة
يشمل جميع مرافقها ؛ وأن الاسلام طبيعته التطور ، وتطبيقه
يقوم على الدستور القرآني والحديث والسنة والقياس والاجماع
والاجتهاد ؛ وتوقف الاجتهاد معناه الجرد أو الموت أو الخواء
(Vacuum) ؛ وأن الطبيعة لا تقبل الخواء بل لا بد من
ملئه بشيء حتى ، ومن ثمة هرعت الحضارة الغربية لملء هذا
الخواء الذي خلقه الجود في حياة المسلمين ؛ وأن إزالة الترهات
والخزعبلات من طريق الاسلام سمح بعودة الاجتهاد من تلقاء
ذاته ؛ وهذا ما صنعه محمد بن عبد الوهاب ، فتعدد المجتهدون
والمصلحون في عصرنا الحاضر الذي يشهد فيه الاسلام بعضاً
عظيماً ، وأن الوطنية والاسلام هما العاملان القويان في هذا
العصر للاصلاح في المحيط الشرقي خاصة وإنيهما لنهران يصبان
في محيط واحد .

وكل أمريكي حر استمع إلى هذه المحاضرة أو وقف على

خلاصتها لا بد أن يشعر شعورنا بوجود شيوعها، لا لمحتوياتها
المبصرة فحسب، بل لما فيها من مسائل تستدعي البحث والنظر
مثال ذلك قول الدكتور: إن الإسلام لا يعترض على حكم
الأغلبية لأن طبيعته ديمقراطية، ولكنه لا يكتفي بالحكم وحده
فالأغلبية ليست مجرد عدد.

وعندنا أن الإسلام الذي يحترم الصالح العام لا يتغاضى في
تطوره عن حق الأغلبية العددية كما لا يمكنه أن يتغاضى عن
نتائج البحث الدستوري في أصالح أنواع الحكم.
ومثال ذلك أن الإسلام لا يقبل المتجبرين ولا الحكام
بأمرهم وإن قبل تركيز السلطة في يد حاكم دستوري في
ظروف خاصة.

ومن النقاط التي لا يمكن تجاهلها أن تفسير التعاليم الإسلامية
بل حتى تفسير القرآن، لم يعد وفقاً على المسلمين وحدهم، متى
خلصت النيات، لأنه يتمشى مع الأصولية العلمية الكاملة، وكل من
تفاسير لا قيمة لها، لأنها تنهض على إلغاء العقل والمعرفة.

وبحسبنا توكيد الأسس التي ينهض عليها والهداية التي
يوحى بها، ومن السهل التفسير والتطبيق على ضوء العلم والمنطق

والحاجة العامة ، مع التطور حسب الظروف .
ليس الدكتور الشواربي ولا الدكتور زين الدين متخصصين
في الشؤون الدينية ، ولكن كلا منهما باطلاعه الواسع وثقافته
العصرية استطاع أن يعرض على نخبة من الأمريكيين المثقفين
صوراً حقة جذابة للإسلام ، وكان من حقه أن يفعل ذلك . إذ
ليس في الإسلام كهنوت ، وقد خدما بجهدهما الطيب العلاقات
بين الثقافتين الإسلامية والأمريكية ، فخدما بذلك مساعي
الحبة والسلام .



تعاون الاسلام والمسيحية

من الحقائق المسلم بها أن القرآن يجب أن يعاد النظر في فهم
تعاليمه وتطبيقها من عصر إلى عصر ، ولا بد من ظهور تفاسير
جديدة متمشية مع روح العصر وتقدم العلم ، يؤلفها الماطلعون
الواعون من الاحرار المفكرين . وقد أتيح لنا منذ الربع الثاني
لهذا القرن أن دعونا لمذهب الاصولية العلية بمصر ، وشجعنا
ظهور تفاسير جديدة .

ولئن كنا لم نزل بعيدين عن الهدف ، فإننا الآن أقرب إليه
بما كنا لسنين خلت على الرغم من قيود البيئات الشرقية التي
نجمت في مسخ تعاليم الإسلام التقدمية حتى أصبحت جد غريبة
عنه . وراح المتشدقون بتدريس الثقافة الإسلامية يتعلقون
بكل غريب عن الإسلام ويحافون روحه وصميمه ، لأن أغلبهم
بعيد عن الإسلام إما جهلاً وإما نفوراً وإما حذقة وإما
عداوة ، ومع ذلك لا يتورعون عن الارتزاق باسم الاسلام وهم

حرب عليه ، ذلك لأن أهله في غفلة عن إنصافه .

إن الاسلام وريث الأديان السماوية، تشبث بمثالياتها واحتضن المبادئ الانسانية الرفيعة التي نادى بها المسيح ، كما عمل الاسلام على تحقيقها بالحماية من الاعتداء ، وبال دعوة الإيجابية المنظمة على نطاق عالمي ، وهكذا كان الاسلام ولا يزال الساعد الأيمن للمسيحية ، إن لم نقل إن المسيحية أم له ، مما يجعل التضافر بينهما — إن لم نقل التوحد — أمراً ممكناً وواجباً .

وعقيدة شأنها حب السلام ونشره، وحب العلم ونشره - حتى أنقذت الثقافتين الاغريقية والرومانية - جديرة بإعزاز المسلمين والمسيحيين على السواء ، فقد كان الاسلام ولا يزال أبر بالمسيحية من كنائسها الرجعية التي سامت المفكرين الاحرار والادباء العباقرة والعلماء اللامعين سوء العذاب جزاء إحسانهم للانسانية عشرة قرون كاملة ، حتى فصل ما بين الدولة والكنيسة . نقول إن عقيدة عالمية متسامحة كهذه هي من المسيحية وإليها ، بل هي من الانسانية وإليها ، وعلى هذا لا يجوز أن تقوم في وجه تقدمها أية حوائل ، وهي المهمة لكل تقدم ، ولا يجوز أن يحدد آفاقها زمان أو مكان ، وعلى هذا ينبغي أن تراجع تفاسيرها

مراجعة تقدمية من وقت إلى آخر ، فإن القرآن قد طالب المسلمين
بذلك ووجههم الرسول الأعظم محمد بن عبدالله والخليفة الأعظم
عمر بن الخطاب هذه الوجهة الحكيمة منذ فجر الاسلام .

وما وقف الاسلام يوماً خلف الهادي والمهدي والرشيدي
وأضرابهم ممن حاربوا الفكر الحر ، ولا سوغ مذبحه الشيعة
الفظيعة سنة ٤٠٧ للهجرة ، ولا أجاز قتل أهل البيت خدمة
للأطماع السياسية ، كما أن المسيحية الحق لا صلة لها بموكلات
محكمة التفتيش اللعينة ، ولا بمذبحه الأليين التي حرض عليها البابا
إنوسنت ، الثالث ولا بمذبحه الهوجونوت في باريس سنة ١٥٧٢
لليلاذ ، ولا باضطهاد لويس الرابع عشر للبروتستانت بعد
زواجه من مربية أولاده الكاثوليكية المتعصبة ، ولا بدعوة
لوثر نفسه إلى اضطهاد مناوئيه وقتل منكري التعميد بعد أن
كان في أول أمره نائراً على الجود والاضطهاد ، وعلى هذا كان
الاسلام والمسيحية في صميمهما النبيل الحق ، على اتفاق تام في رعاية
الانسانية وحب الخير والسلام والسعادة . وكما عملت المسيحية
متأخرة على تفسير الإنجيل على ضوء العلم ووجب على الاسلام —
وهو السابق إلى ذلك وباعث النهضة ، في أوروبا ذاتها — أن

يماشى المسيحية الجديدة فى نظير هذا التفسير، وعلى الاخص لان
فى القرآن من التنبؤات عن تطور العالم ومخترعات الانسان
ومستقبل البشرية ما فيه، لو فقه الناس دقائقه وتذهبوا جيداً إليها.

إن واجباً مقدساً على المسلمين المبادرة إلى احتلال مكاتبتهم
فى طليعة موكب الحضارة، وفتاحة ذلك أن يفهموا دستورهم
الاجل الفهم العلمى الصحيح كما يفعل المسيحيون إزاء كتابهم
المقدس، وقد يودى ذلك إلى تقارب المسيحيين والمسلمين حينما
يدركون أن الفواصل بينهم غير كبيرة بل تكاد تكون معدومة
وأن هذه الفواصل نتيجة التأويلات الغير المنطقية والمجانبة لروح
العلم، وأن بالوسع خلق قدرالية إسلامية مسيحية، قوامها التآلف
والتعاون كأنهما دين واحد، وفى ذلك غنم عظيم للانسانية.

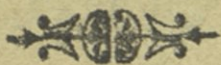
إن مهمتنا توكيد البيان والدعوة إلى مذهب الاصولية العلمية،
كقاعدة للاسلام الصحيح، وأما التفاصيل والجزئيات فبوسع
كل مثقف أن يقيمها عليها سواء اختصت بالطهارة وسننها،
أم بالصلاة وما إليها، كالجنائز والأطعمة والأشربة، والصيام
والزكاة، والزواج، والطلاق، والكفارات، والجنائز،
والاحكام، والهبات، والصدقات، والرهون، والشفعة،

واللقطة ، والعق ، والحدود ، والديات ، والوصايا ، والفرائض ،
والجهاد ، والمناسك ، والأضاحي ، والذبائح ، والصيد ، والطب
واللباس ، وأدب الاجتماع ، والدعاء ، والرؤيا ، والفن ، والزهد .
أم بغير ذلك ، بدل التفاسير الكثيرة السخيفة في هذه الموضوعات
عما لا تليق نسبته إلى دين عظيم ، فالاسلام معرفة وفلسفة
وروحانية وسلوك قويم !

وقد نضجت النهضة الدينية في عهد الفاطميين بمصر المعدودة
قلب العالم الاسلامي ، تتطلع إلى نضوجها الثاني على أساس علمي
أصلح في عهدنا الحاضر ، وهو عهد تميز بالزاهة والغيرة الوطنية
الرشيدة ، ولا يكفي أن تقضى حكومة الثورة على الخزعبلات
« الدينية » بل عليها أن تحمي حرية الفكر الذي ينهض بالشعب
والاتسمح بالرقابة الرجعية عليه ، إذ لا يمكن أن يتزعزع
الإصلاح في الجو الخاق .

والواجب أن يعرف الإسلام كعقيدة روحية عقلية ،
وكشريعة تقدمية . وهذا ما يجعل الإسلام تراثاً للعالم بأسره ،
وليس وقفاً على طائفة أو أمة أو قارة أو ثقافة بعينها .
وثمة واجب على الحكومات الإسلامية والمعاهد الإسلامية

المستنيرة: أن تتضافر على خلق كراسي للثقافة الاسلامية ولادب
لغة القرآن في الجامعات الغربية الكبرى ، على أن تسند هذه
الكراسي إلى صفوة من الجهابذة الغيورين الذين يفهمون روح
الاسلام جيداً ويعرفون أن الدين للأمة — كلغتها ومثالياتها —
رمز لشرفها أو بضعة كبرى منه ، ولا تدعه للجاهلين الذين
يشغلون بتدريس الأوهام والخزعبلات وحساباتها من أركان
الاسلام أو مقوماته ، ويتسابقون على أساسها في الانتقاص منه
ومن أهله واعتبار صحائفه كصحائف البردي الميتة بل أقل ،
وكل هذا له رجوع سيء على الشعوب الاسلامية حتى في المجال
السياسي .



لماذا أنا مسلم ؟

لسنين بعيدة كتب الدكتور إدغم رسالته « لماذا أنا ملحد ؟ »
التي رددنا عليها برسالتنا « لماذا أنا مؤمن ؟ » ، واليوم يطالبنا
عدد من المستمعين - بأن نجيب على هذا السؤال : « لماذا أنا مسلم ؟ »
ولعل هناك إجابة وافية عنه في محاضراتنا وفي أحاديثنا وكتاباتنا
في مدى الثلاثين سنة الماضية ، ومع هذا يطيب لنا أن ندلى هنا
بوجز ، رداً على هذا السؤال الوجيه : —

١ — العقيدة الإسلامية سمحة سهلة منطقية ، قوامها وجود
قوة هائلة للالوهية الموحدة منظمة للوجود وفقاً لسنن حكيمة
أزلية . ولا يمكن تعريف هذه القوة الإلهية أى وصف الله سبحانه
وتعالى وصفاً أجمل وأليق مما يطالعنا به الإسلام ، فقد جمع وصفه
بين الفلسفة الصوفية وبين مفهوم الحقائق العلية .

٢ — يأتى الإسلام الشرك بالله ، إذ يعده امتهاناً للعقل ،
وخرافة الخرافات ، كما يأتى أن يحسب الإنسان نفسه سخرة للطبيعة

أورقيقاً في الوجود ، فهو مخير إلى حد بعيد ، مسير باعتباره
قطرة في خضم العالم .

٣ - يعتبر الاسلام الأديان السماوية وحدة متكاملة ،
فما نصر تعاليم المسيح مثل الاسلام الذي يعتبر الدين المعاملة ،
والاسلام هو السلام وكل موحد لله ولو لم يكن مسلماً في حظيرة
الاسلام فعلاً ، ويمنع الإكراه في الدين بل في جميع مناحي الحياة .
٤ - يقف الاسلام ضد العدوان وينادي بالحرية والمساواة
والإخاء منذ نشأته ، ويتبرأ من كل ما عداها .

٥ - لا يحصر الاسلام ذاته في بيئة أو قطر أو زمن بل
إن رسالته عالمية تأتي الحصر .

٦ - يكتفي الاسلام بدستور أدبي مقدس للسلوك والمعاش
هو القرآن ، تاركاً للمسلمين أن يكييفوا قوانينهم على ضوء هذا
الدستور الأعظم ، بحيث تكون ملائمة لبيئاتهم وأزمانهم
وأقطارهم وللصالح العام والكرامة الانسانية .

٧ - يعتبر الاسلام العلم هو المصباح المنير المرشد إلى
تفسيره القويم حسب المفهوم الانساني وحسب تجلي الحقائق .

٨ - لا يقر الاسلام واسطة بين الانسان وربه ، فلا كهنوت

في الإسلام، ويحترم الشخصية الإنسانية ويؤمن بمستقبلها ويأبى
أن يعد الإنسان أثمياً خسيساً إلى الأبد .

٩ - خلق الإسلام من مذهبه في العدالة الاجتماعية
والديمقراطية الحققة وضعاً سياسياً للحكم يبرز في أي عصر، وكان
ولا يزال مصدر النعمة الموفورة للشعوب التي أخذت به مخلصه .

١٠ - الإسلام دين عملي كفيل بالنجاح المادي والروحي
تنزه عن الخرافات والغيبيات السخيفة والأوهام التي يخلقها الجهل
أو التعصب، كما تنزه عن التواكل والتسليم الأعمى بالقدرية .

١١ - اعتبر الإسلام قداسة العلم أعظم من قداسة العبادة
الشكلية، لأنه اعتبر العلم في ذاته أسمى عبادة .

١٢ - جاء القرآن بنبوءات انطبقت على تطور البشرية وعلى
اكتشافاتها ومخترعاتها منذ أربعة عشر قرناً، مما كشف عنه
عصرنا الذري .

١٣ - جاء الإنجيل بنبوءات عن رسالة محمد كما جاءت قبله
التوراة بذلك مما لا يحتمل أي تأويل آخر .

١٤ - جاء القرآن بنماذج باهرة من الأحكام ورتبها على
قاعدة الأسباب والنتائج، بحيث إذا زالت الأسباب زالت النتائج،

وبهذا فتح صدره لتقبل جميع التشريعات المتمشية مع مبادئه
الرفيعة والكفيلة بسعادة البشرية، وهكذا ساند جميع الحضارات
السامية وراعها، فاستظلت بجناحه، واستوعبتها فلسفته فأمتدت
وترعرعت وأسهمت في إسعاد المسلمين بل البشرية عامة.

١٥ — لا يحتمل الاسلام الرجعية مطلقاً، وإنما شعاره
دائماً الرقي والتقدم، فكل حجر على الحرية أو النهوض منافع له،
بل هو الكفر، وكل إنسان يحترم حرية الفكر والقول لا بد
أنه يناصر الاسلام، ولو لم يكن من أتباعه.

١٦ — يعتبر الاسلام أن الانسان مسئول عن خلاصه
بالعمل، فلا وساطة ولا شفاعة ولا فداء إذا لم تنجبه أعماله،
كما لا يعترف بالشفاعة ولا بالفداء ولا بالوساطة، ويعدها من
أوهام العامة وجهلة المفسرين الذين انطلت عليهم أوهام كثيرة
أسندوها إلى الأحاديث الملقفة، وما التبس عليهم من ظاهر الآيات
دون حساب لمعانيها العميقة أو لدلالاتها الرمزية الجميلة.

١٧ — يستطيع المسلم أن يكون موسوياً وعيسوياً ومحمدياً
في آن، فهكذا روح الاسلام وعالميته، ولذلك كان الاسلام
أهلاً لقيادة العالم بقيادة ديمقراطية مشربة بروح المحبة والسلام.

لهذه الأسباب ولأسباب متفرعة عليها آثرت أن أبقى مسلماً
واعترزت بإسلامي ، ووهبت الوقت والجهد في الكشف عن
جواهره على ضوء العلم والمنطق ، تاركاً التوسع في التفسير والتطبيق
العملي لمن يخصص ذلك من الواعين والمثقفين المتفرغين لهذا العمل
الجيد .

ولا يسعنا في هذا المجال إلا أن نقبس هذه التحية إلى نبي
الاسلام . . إلى البطل في صورة نبي ، فهي أبلغ في دلالتها من أي
شعر نرجيه .

قال كارليل (1) : « العقيدة المحمدية بين العرب أوضح مثل
للظاهرة الثانية من ظواهر تكريم الأبطال ، حيث لا ينظر إلى
البطل كإله ، وإنما كملهم من الله ، كسني . . . فلنحاول أن
نفهم ما كان محمد يعنيه بالدنيا ، أو بالأحرى ما كانت تعنيه الدنيا
لديه . . . إنه بالتأكيد لم يكن دجالاً ولا محتالاً واسع الدهاء
ولا مزيفاً . . . والفروض القائلة بأنه كان كذلك ليست سوى
نتاج عصر الحادي تكشف عن ألوان من الشلل الروحي تدعو
للأسى . . . أفيقوى مدع زائف على إيجاد دين ؟ . . . إن

(1) ديسمبر 1954 مجلة كتابي ، ص 52 و 54 .

الزائف لا يستطيع أن يفتش شيئاً ، ولو كان هذا الشيء بيتاً من
طوبا وما كان ميرابو ، ولا نابليون ، ولا بيرنز ، ولا كرومويل ،
ولا أى مخلوق ليستطيع أن يفعل أمراً ما لم يكن قبل كل شيء صادق
الايان به . . فإن الاخلاص وصدق الايمان هما أعظم ما يميز جميع
أولئك الذين يأتون عملاً من أعمال البطولة . .

وقال أيضاً : « الاسلام يرمى بطريقته الخاصة — إلى إنكار
الذات ووقع النفس . وهذه هي أسى حكمة كشفتها السماء لعالمنا الارضى .
وإني لأجد في محمد — وفي قرآنه — الصدق والاخلاص ، والتحرر
الكامل من الزيغ والضلال قبل كل شيء وقد ظل دينه طيلة
هذه القرون الاثني عشر مرشداً لجنس البشرى ، وظل —
قبل كل شيء — موضع إيمان قلبي عميق . . . لقد كان العرب
شعباً ضيق الأفق ، فبعث اليهم نبي بطل ، فلم ينقض قرن حتى
وصلوا إلى غرناطة من ناحية وإلى دلهي من ناحية أخرى . .
هذا هو الدين الذي أحببته ودعوت إلى محبته ، ولا أعرف
ديناً اسمه « الاسلام » سواه جديراً بأن يعتز به ، لأن ما اتصف
بعكس الصفات المتقدمة إنما يكون نقيض الاسلام يتبرأ منه كل
مسلم ، بل كل مشقف مسلماً كان أم غير مسلم .

الاسلام بين الديمقراطية والشيوعية

في مارس ١٩٥١ عقد معهد الشرق الاوسط، مؤتمره السنوي الخامس عن شئون الشرق الاوسط فزودنا بطائفة من البحوث الاسلامية المفيدة. وقد رأينا ألا يفوتنا التعليق على صفوة من هذه البحوث، وحدثنا اليوم يتناول خطاباً للأستاذ فيليب

إيرلند Philib W. Ireland

يزعم الأستاذ إيرلند - مستشهداً بملاحظات للاستاذ الدكتور حتى - أن الاسلام ليس ديناً فحسب بل هو دولة أيضاً، كما يزعم أن الاسلام يخص تابعيه بالسلام ويخص سوام بالحرب، وأنه لا محل في تعاليمه للشيوعية ولا للديمقراطية. وواضح أن أغلبية هذه الآراء خاطئة من أساسها وإن كان مذهبها مستشرقاً فاضلاً وجامعياً معروفاً.

إن الاسلام رسالة إنسانية إلهية عالمية الصبغة، ودعوته قائمة أبداً، ولا إكراه يصحبه، وجهاده دفاعي لا يباح إلا لضرورة قصوى على الرغم من صبغته المشروعة، والقرآن

والاحاديث النبوية بمجموعة مبادئ أدبية وتعاليم إنسانية خالدة
ونظم عمرانية تقدمية تصلح لكل زمن ومكان دون أن تتناول
التفاصيل الكثيرة التي تتبدل من عصر إلى عصر ، وباعتبار
القرآن سماوي الوحي اكتسب دستوراً قدسية ضمننت له الرجحان
الدائم ، لما توحى به من سمو وتقدم على مر الأعوام ، وقد ترك
تكييف التفاصيل على ضوء تلك المبادئ والتعاليم والنظم .

وبدعى أن الاسلام يناني الشيوعية لأنه يحترم الملكية وإن
جاني الاحتكار ، كما أنه عدو الاستبداد أو الاستعباد لأن روحه
ضدها ، وقد جاء بديمقراطية صافية عريضة قبل أن يعرف الغرب
نظيرتها ، وليس هذا كلاماً نظرياً بل من صميم الحياة الاسلامية
منذ عهد الرسول ، وإذا كان الخطيب قد أصاب باقصائه الشيوعية
عن حظيرة الاسلام فإنه لم يصب باقصائه الديمقراطية ، فالاسلام هو
الديمقراطية بعينها ، وإذا كانت الديمقراطية الاسلامية تستند إلى
دعائم إلهية فإن هذه الدعائم تزيدها قدسية ورسوخاً .

إن الشيوعية لا ترضى عن الاسلام لأنه أخطر عليها من
الديمقراطية المألوفة ، فالأخيرة يستطيعون التحايل على تحويلها
ولكنهم لا يستطيعون فعل ذلك بالقرآن والحديث وتعاليمهما .

ولذلك كان الشيوعيون أعداء ألداء للإسلام ، وقد أجاد الأستاذ
أيرلند بعرضه الحصيف لهذا الموضوع .

فعلى حين كان الشيوعيون يتشدقون برعاية الإسلام
وبإيصال المسلمين ، مستشعدين باعتراف ستالين بالشرعية
الإسلامية في سنة ١٩٣٠ نجدهم يتأرجحون في تصرفاتهم ،
وفي يناير سنة ١٩٥٠ يصرحون بالاستغناء عنها . وهم يستعملون
موظفيهم المسلمين في الإشادة زوراً بمآثر السوفييت في خدمة
الإسلام ، كما استغلوا عدداً من المسلمين الساخطين على الاستعمار
والبياتسين من الأوضاع الاقتصادية المنحطة في البيئات الإسلامية
استغلالاً شائناً ، في حين أن الشيوعية والاستعمار والإقطاع
والاستبداد والحكم الأجنبي المرهق كلها سواء في إهدار
الكرامة البشرية . فعلوا ذلك فيما نعتوه « مؤتمر استوكهلم للإسلام »
وبلسان المفتي الأكبر لاتحاد جمهوريات السوفييت ، وعلى السنة
أخرى من آذربيجان ، ثم حاربوا ولاء المسلمين لدينهم وعملوا
على تشتيت مجتمعاتهم ونقلهم إلى غير أوطانهم ، كما راحوا
ينتقصون الرسول زاعمين أنه يمثل الإقطاعيين والتجار
الارستقراطيين ، وأنه استغل الإسلام والعرب لمصلحته الخاصة .

وقد كانت روسيا في عهد سابق تأوى طائفة من العلماء المستعربين
الغيورين آخرهم كراتشفونسكى ، والآن يشغل ولاة أمورهما
بمجازاة التراث الاسلامى المجيد ولغة القرآن الشريف .

ولنتقل الآن إلى موقف الاسلام من الديمقراطية الحقيقية .
فالاسلام قائم على الشورى والعدل والمساواة وصيانة الكرامة
البشرية ورعاية المصلحة العامة وحماية حقوق الفرد والمجتمع معاً
واحترام رأى العام ، وهذا كله لباب الديمقراطية الحقبة . ولم يكن
الاسلام يستعين فى التفسير والتشريع بفرد ، بل كان الافتاء
للجماعة بأغلبية الأصوات مع تجنب احتقار رأى الأقلية ، وما
كان الحكم اغتصاباً بل مبايعة ، والأمثلة التاريخية العملية المدعمة
لهذه المبادئ أكثر من أن تحصى ، فليس الإسلام إذن غريباً عن
الديمقراطية بل هو أبوها ، ومهما تنوع نشاطها فالاسلام يحتضنها
بحنان الأبوة . وشتان بين ديمقراطيته وديمقراطية هتلر أو ستالين .

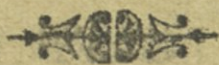
إن الأستاذ ايرلند يعترف بما أثر الاسلام الفائقة فى إزالة
الفوارق بين الناس فيما يتصل بالعنصر أو اللون أو الموطن ، ومع
ذلك يقول إن الإسلام مجرد من عنصر هام هو عدم اشتراك غير
المسلمين فى الحكم ، وهذا يجعله غير مستكمل لشروط الديمقراطية

الحقيقية ، كما يقرر أن الإسلام غير حائز لصفة الديمقراطية السياسية . وهذا الكلام في صميمه غير صحيح . فقد نشأ النظام الاسلامي في شبه الجزيرة العربية ، والقرآن والحديث وتفسيرهما كان موكولا للمسلمين ، ولكن عند ما اتسعت الدولة الإسلامية وشملت غير المسلمين كان لهم نصيب وافر في نواحي الحكم ، وإذا كانت رئاسة الدولة بقيت للخليفة المسلم فنظير ذلك في إنجلترا وفي أقطار عريقة في ديمقاطيتها وأنه لرمز تقليدي فحسب . وفي لبنان رئيس الدولة مسيحي ورئيس الوزراء مسلم بحكم التقليد دون أن يقول أحد إن هذا الوضع يجعل لبنان دولة غير ديمقراطية ، وانتخاب مسلم بالذات رئيساً لجمهورية باكستان لم يجردها من ديمقاطيتها .

ورأينا إزالة هذا التخصيص لإزالة تامة ، وسوف يحدث ذلك مستقبلا ، لأن الدوافع الأولى التي أوجت الديمقراطية الإسلامية إلى الاحتياط خوفاً على مستقبل الإسلام قد زالت تماماً وبقيت روح الإسلام الديمقراطية قوية ناصعة ، وهذه الروح هي التي خلقت جمهورية باكستان الإسلامية الديمقراطية وجمهورية سوريا الإسلامية الديمقراطية .

وعلى هذا فزعم الأستاذ أيرلند في غير محله واستشهاده
بسلوك الدهماء ومن إليهم ~~في~~ القطر أو ذاك لا معنى له ،
فأمثال هؤلاء يذوبون مع الزمن ذوبان الثلج تحت حرارة
شمس المعرفة .

ولا ريب عندنا إطلاقاً في أن الإسلام سيظل منبعاً
للديمقراطية الحققة وستشمل آفاق رعايته عناصر أعظم وشعوباً
أضخم ، وسيشغل أكثر فأكثر باللباب طارحاً عنه القشور
التي تجمعت نتيجة لظروف خاصة أو لطوارىء وقتية .



شعلة تخبو . .

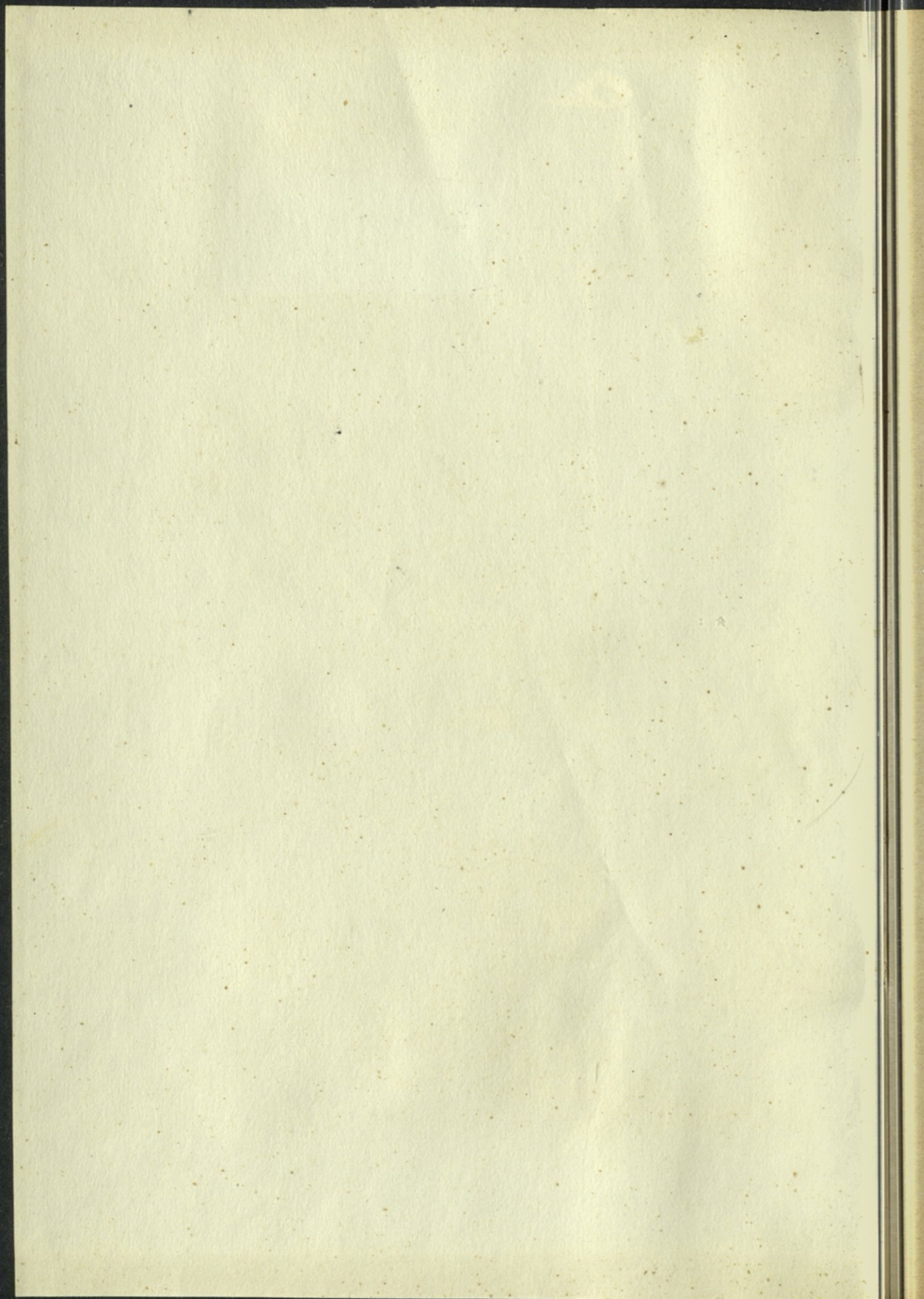
وبعد . . أيها القارئ الكريم
كم وددنا أن تصحب «أبا شادي» طويلا في رحلاته الكشفية
الجريئة، وهو يرتاد منابع الدين الحنيف .
ولكن إرادة السماء أقوى وأحكم . .

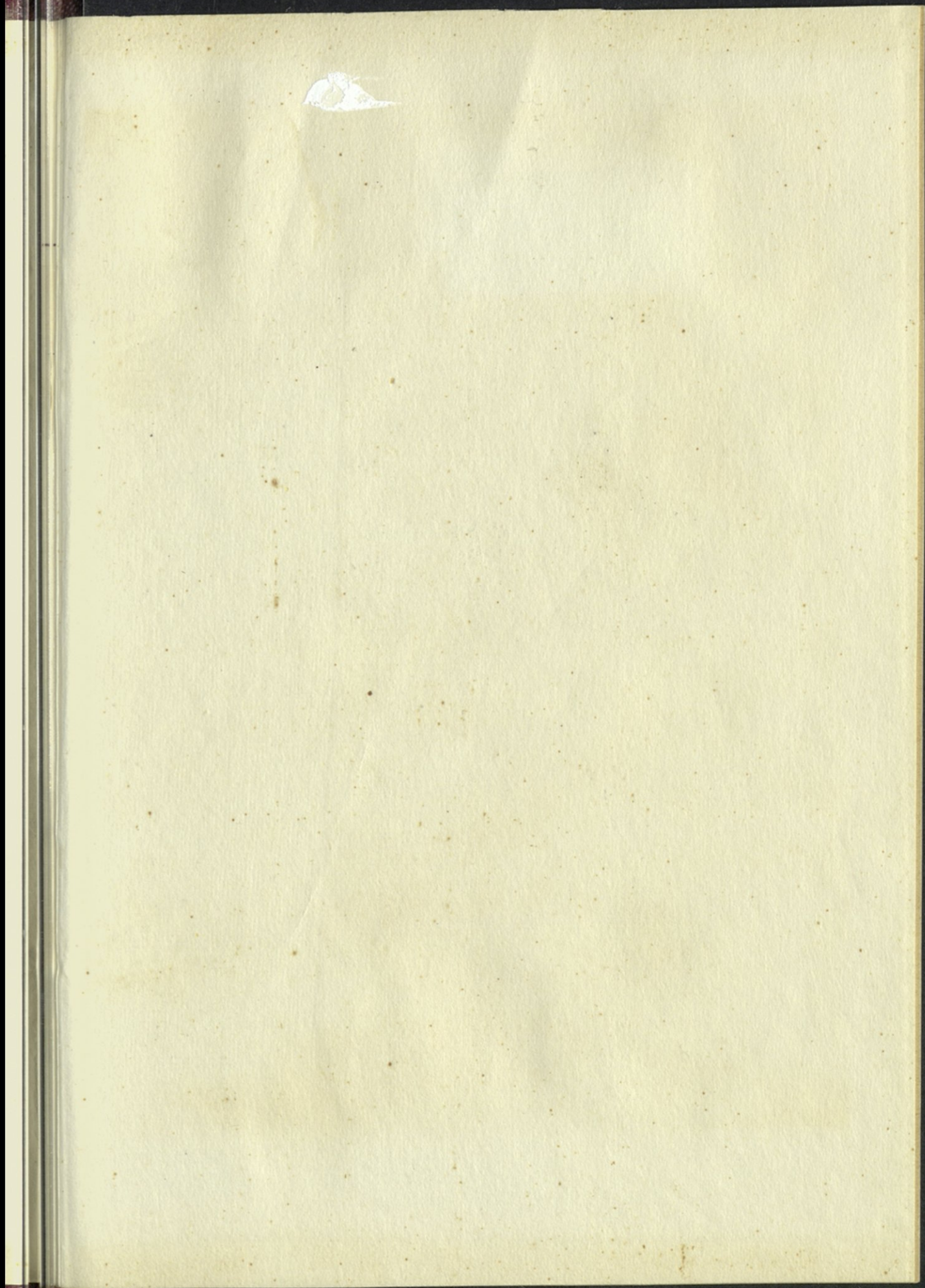
فحين كانت سطور هذا الكتاب تأخذ طريقها إلى
الصحائف، لتتأمل حياة نابضة، تصافح القراء، وتتحدث إليهم
حديث «أبي شادي» رجل الإنسانية، والمحبة، والسلام . .
كان قلبه من وراء البحار يخفق آخر خفقاته، ثم ينشر
الشراع، ويمضي عبر الخلود، إلى أحضان الأجداد السماوية .
لقد انطلقت شعلة هذه العبقرية في ديار الغربية، وفاضت روح
أبي شادي مساء الثلاثاء ثاني عشر أبريل ١٩٥٥ بواشنطن .
فغزاه لمصر، والعروبة، والإنسانية .

فهرس

ص			
٢	تمهيد	—	١
٥	مقدمة	—	٢
١٩	أركان الاسلام	—	٣
٢٥	عالمية الاسلام	—	٤
٣٢	الشركة المقدسة	—	٥
٣٨	نشأة التصوف الاسلامى	—	٦
٤٤	المعجزات المحمدية	—	٧
٥١	الاسلام والصالح العام	—	٨
٥٩	الارتداد عن الاسلام	—	٩
٦٧	الاسلام والحضارة	—	١٠
٧٥	الاسلام والغرب	—	١١
٨٥	روح الاسلام	—	١٢
٩٣	هل الخالق مسئول عن الخلق؟	—	١٣
١٠٠	الحقيقة ضالة المؤمن	—	١٤
١٠٨	تعاون الاسلام والمسيحية	—	١٥
١١٤	لماذا أنا مسلم؟	—	١٦
١٢٠	الاسلام بين الديمقراطية والشيوعية	—	١٧
	شمة نخبو	—	١٨







516
ابو شادي ، احمد زكي

الاسلام الحى

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01002566

American University of Beirut



297

A16: A

General Library

297
A5241A
C.1